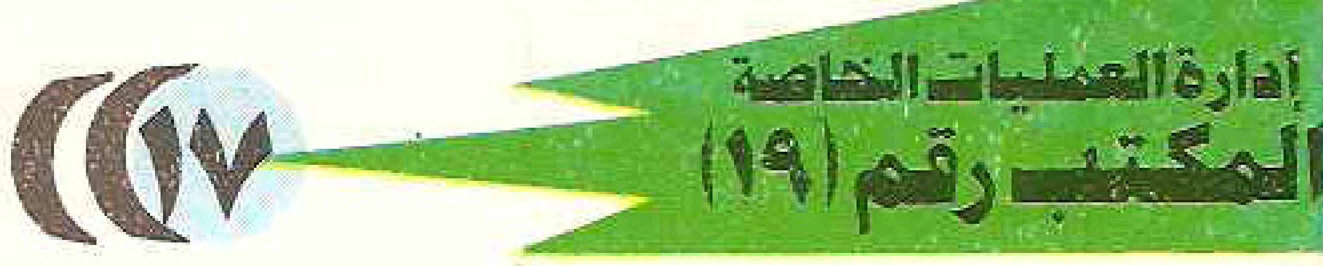




الوثائق السرية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ موعد فى هونج كونج ..

هبطت طائرة (البوينج ٧٠٧) فى مطار (هونج كونج) قادمة من القاهرة ، وعلى متنها عشرات من المسافرين من جنسيات مختلفة .

وفى المطـــار كانت هنـــاك عيـــون ترصد حركـــة القادمين ، وتتفحصهم بعناية واهتمام ..

وتركّزت تلك العيون الفاحصة على رجل طويل القامة ، نحيل الجسم ، يضع نظارة طبية فوق عينيه ..

كان الرجل يخطو داخل الردهة الداخلية للمطار فى خطوات مضطربة ، ونظرات قلقة ، وهو يتلفّت خلفه بين الحين والحين .. ولم يكد الرجل ينهى الإجراءات المطلوبة بالمطار ، حتى استقل إحدى سيارات الأجرة الواقفة خارج مبنى المطار ، وهو يشير إلى السائق بالتوجه إلى عنوان بعينه ..

ولم تكد السيارة تتحرك به ، حتى أسرع أحد أصحاب العيون المترقبة إلى (كابينة) التليفون بالردهة الداخلية ، لإجراء محادثة تليفونية ..

وأمسك الرجل الذى كانت ترتسم على وجهه ابتسامة خبيثة بسمّاعة التليفون قائلاً :

ــ لقد وصل صاحبنا منذ لحظات ، وهو فى الطريق إليك الآن .

وجاءه الردّ من الطرف الآخر قائلاً :

ــ هل أرسلت (كوبرن) لتعقبه ؟

أجابه صاحب الابتسامة الخبيثة قائلاً :

ــ اطمئن .. فأنا أنفِّذ التعليمات بمنتهى الدقة .. لقد استقل إحدى سيارات الأجرة من أمام المطار .. و (كوبرن) يتعقَّبه كما يتعقَّب الصقر الحمامة ، ولن يدعه يغيب عن نظره لحظة ، حتى يطمئن أنه قد سقط بين يديك .

وجاءه الصوت الآخر قائلاً :

ــ عمومًا .. ما دام قد وصل إلى (هونج كونج) ، فلن يتمكّن من الذهاب إلى أى مكان آخر فى العالم .

وأطلق صاحب الابتسامة الخبيثة ضحكة أكثر خبثًا ، وهو يضيف :

ــ عدا القبر طبعًا .

ثم وضع السمّاعة ، وغادر (كابينة) التليفون ، واضعًا نظارة سوداء قاتمة فوق عينيه .

وفى هذه الأثناء كان سائق (التاكسى) الذى استقله الرجل القادم من القاهرة ، يحاول أن يفسح لنفسه الطريق ، خلال الشوارع الضيقة المكتظة بالبضائع المحلية .

تلك البضائع التى تشتهر بها هذه الجزيرة الصينية الصغيرة ، التى تجمع بين غموض الشرق ومادية الغرب .. فهى برغم صغر حجمها تعد من المراكز التجارية الهامة فى العالم ، وجزءًا من الحضارة الصينية القديمة .

ومضت سيارة (التاكسى) تشق طريقها بصعوبة بالغة ، خلال هذه الطرق الضيقة المزدحمة فى بطء شديد ، فصار من العسير على السيارات الأخرى المطارِدَة تتبُّع سيارة (التاكسى) ، والاقتراب منها مع الزحام الشديد ..

وبين الفينة والفينة ، كان الرجل ذو النظارة الطبية يتطلّع خلال المرآة الصغيرة المعلقة داخل (التاكسى) إلى السيارة التى تتبعه ، وقد تزايد قلقه واضطرابه ، إلى أن توقَّف سائق (التاكسى) أمام حانوت صغير للتحف الصينية ، وقال له :

ــ ها نحن أولاء قد وصلنا يا سيّدى .

ونقده الرجل أجره على عجل ، وأسرع بدخول الحانوت وهو يتلفَّت وراءه .. فى حين توقفت السيارة الأخرى غير بعيد عن الحانوت ..

ويبدو أنها لم تكن السيارة الوحيدة التى تتبع الرجل .. فعلى مسافة قريبة من تلك السيارة ، كانت

هناك سيارة ثانية تنتظر خروج الرجل من حانوت التحف .

ولم يكد صاحب النظارة الطبية يجتاز عتبة الحانوت ، حتى دنا منه رجل صينى ، ضئيل الحجم ، وانحنى أمامه فى أدب جمّ قائلاً له :

ــ هل من خدمة أؤديها لك يا سيِّدى ؟

قال له الرجل باضطراب :

ــ إننى على موعد مع السيد (لى سونج) ، وأود مقابلته فى أسرع وقت .

أجابه الرجل الصينى ببرود :

ــ يبدو أن هناك خطأ يا سيِّدى .. فأنا لا أعرف شخصًا يدعى (لى سونج) ..

وأخرج الرجل ذو النظارة الطبية إحدى القطع المعدنية ، المنقوش عليها صورة لتنِّين ينفث النيران ، وأدناها من الرجل الصينى قائلاً له :

ــ ليس أمامى وقت .. فهناك من يتبعقَّبنى بالخارج .

ولم يكد الرجل الصينى يلمح صورة التنِّين المنقوشة على القطعة المعدنية ، حتى تغيَّرت ملامحه فى الحال .. وجذب الرجل من ذراعه قائلاً :

ــ اتبعنى من هنا .

وأزاح ستارة طويلة تغطى إحدى أركان الحانوت ، ليدخل به إلى غرفة صغيرة أشبه بالمخزن .. حافلة بالتحف والتماثيل الصينية .

وقام بإزاحة أحد الصناديق الخشبية الضخمة ، فبدا أسفله غطاء خشبى ، يغطى جزءًا من أرضية الحجرة ، وجذب الرجل الصينى الغطاء إلى أعلى ؛ لتظهر أسفله سلالم حديدية ، تنتهى إلى قبو مظلم .

قال الصينى للرجل ذى النظارة :

ــ أسرع بالهبوط .. فهذا القبو سيفضى بك إلى السيد (لى سونج) .

ولم يكد الرجل يسارع بالهبوط ، حتى أعاد الصينى إغلاق الغطاء الخشبى دونه ..

* * *



قال الصينى للرجل ذى النظارة :
أسرع بالهبوط .. فهذا القبو سيفضى بك إلى السيد (لى سونج) ..

٢ ــ خدعة الميكروفيلم ..

وفى مكان آخر .. وفى داخل إحدى (الڤيلات) المشيَّدة على الطراز الأوربى ، والمطلة على الساحل ، وقف رجل ضخم ، عريض المنكبين ، ذو شعر قصير ، يكاد الصلع ينتشر على جانبى رأسه ، يوبخ اثنيْن من رجاله بعنف قائلًا :

ــ إذن تركتماه يفلت منكما أيها الغبيان .

أجابه أحدهما بقوله :

ــ سيِّدى .. لقد رأيته بعينى هاتين يدخل حانوت التحف الصينية ، دون أن يغادره .

استأنف الرجل الضخم حديثه فى حدَّة :

ــ ولماذا لم تقتحم الحانوت ، وتقلبه رأسًا على عقب ؟ أعدمت الوسيلة لكى تحمل صاحب الحانوت على البوح لك بمكان اختفاء هذا الوغد ؟. أم أنه وضع



طاقية الإخفاء فوق رأسه ؟.

أجابه الرجل فى انكسار :

ـ لقد حاولت أن أفعل ، ولكن يبدو أن صاحب الحانوت كان على علم بأننى أطارده ، فقد رأيته يهم باستدعاء الشرطة فى أثناء دخولى لحانوته ، وهدَّدنى بتوريطى فى جريمة سرقة بالإكراه ، ما لم أغادر الحانوت فورًا .

وهوى الرجل الضخم بيده على المنضدة ، فى حنق وغيظ .

قال الرجل الثانى الذى بالغرفة :

ـ إنه لن يذهب بعيدًا يا (كولونيل) .. لقد قلت أنت نفسك إنه ما دام قد وصل إلى (هونج كونج) ، فلن يتمكّن من مغادرتها إلى أى مكان آخر فى العالم .

تكلم الرجل الضخم المدعو بـ (الكولونيل) :

ـ إن ما يعنينى ليس هو أن يبقى أو يذهب ، ولكن ما يعنينى هو الحصول على (الميكروفيلم) .

وفجأة ومضت إشارة ضوئية حمراء من جهاز تليفزيونى صغير ، على المكتب القائم فى منتصف الغرفة ، فأسرع أحد الرجلين اللذين مع الكولونيل يفتح الجهاز التليفزيونى ، فبدت على الشاشة صورة رجل يقول :

ـ هناك شخص يطلب مقابلة (الكولونيل) .

وضغط الرجل الواقف أمام الجهاز على أحد أزراره ، ليظهر على الشاشة صورة ذلك الضيف .

ولم يكد يتحقق من شخصيته ، حتى انفرجت أساريره ، وبدا وكأنه أمام مفاجأة غير متوقعة ، فهتف قائلاً :

ـ سيِّدى (الكولونيل) .. أتعرف من أتى إلى هنا الآن ؟ إنه الرجل الذى تبحث عنه .

واندفع (الكولونيل) نحو الشاشة التليفزيونية وهو يكاد لا يصدق ، ثم ضغط على زرِّ الصوت فى الجهاز قائلاً :

ـ دَعْهُ يدخل فورًا .

وما هى إلا لحظات ، حتى انفتح باب إلكترونى فى الغرفة ، ليظهر على عتبته الرجل صاحب النظارات الطبية .

استقبله (الكولونيل) باسطًا ذراعيه وهو يهتف :

ــ عزيزى (صفوان) .. أين ذهبت ؟ شدّ ما قلقنا عليك .

ابتسم (صفوان) ابتسامة ساخرة قائلاً :

ــ علـىَّ .. أم على الميكروفيلـم ؟ .. سيِّـدى الكولونيل .. لا أكتمك أننى لم أرتح لهذا الأسلوب الذى استقبلتنى به هنا .. فإطلاق رجالك خلفى لتعقُّبى دليل على عدم الثقة ، وعدم الثقة ينبئ بالغدر .. وهو ما يدفعنى إلى الحذر منك .

قال له (الكولونيل) وهو يشدّ ابتسامة زائفة إلى وجهه :

ــ ما هذا الذى تقوله يا عزيزى .. يبدو أنك أنت الذى أصبحت تفقد الثقة فى (الكولونيل) .. إن

الرجل الذى أرسلته وراءك كان يهدف إلى حمايتك ، وتأمين وصولك من المطار إلى هنا ، فربما حاول المصريون تتبعك إلى هذا المكان ، خاصة وأنت تحمل جزءًا هامًا من أسرارهم .. ومع ذلك فبدلاً من أن تقدِّر حرصنا على حمايتك وتأمين تحرُّكاتك ، تعمد إلى هذه الخدعة الغريبة للهروب من حارسك .. عمومًا دعنا الآن من كل هذا وأخبرنى .. هل أحضرت معك الميكروفيلم ؟

ونظر (صفوان) إلى الرجلين الواقفين بالغرفة نظرة ارتياب ، ولكن (الكولونيل) ربَّت على ذراعه مطمئنًا ، وهو يقول له :

ــ لا تقلق .. إنهما من رجالى المخلصين .

قام (صفوان) بخلع نظارته الطبية ليفك إحدى ذراعيها ، ويخرج من داخله ميكروفيلمًا دقيقًا للغاية ، أمسكه بين أصابعه ، وأدناه من (الكولونيل) الذى برقت عيناه عندما وقع نظره عليه ، وهمَّ بمدِّ أصابعه لالتقاطه ..

ولكن (صفوان) أبعد يده بسرعة ، وأمسك بالميكروفيلم بين أنامله فى حرص ، قائلا له وقد اكتسى وجهه بملامح الجدّ والعبوس :

ــ المبلغ المتفق عليه أولاً .

أشعل (الكولونيل) سيجارًا ضخمًا ، وهو يبتسم له قائلاً :

ــ وماذا يضمن لى أنه الميكروفيلم المطلوب ؟ ما دمت مصرًا على عدم الثقة يا عزيزى ، فدعنى أنا الآخر أبادلك نفس الشعور .. فأنا لن أدفع نقودًا قبل أن أتأكد من جودة البضاعة .

صفوان :

ــ حسنًا .. دَعْنا نَرى مقدمة (الفيلم) فقط .. ولكنك لن تشاهد (الفيلم) كاملاً قبل أن تدفع المبلغ المتفق عليه .

الكولونيل :

ــ وأنا أوافق .

ثم نادى (الكولونيل) أحد رجاله ، ليزيح ستارة معلقة على الحائط .. فظهرت خلفها شاشة سينمائية صغيرة .

وقام شخص آخر بإحضار جهاز تصوير سينمائى ، فتقدم (صفوان) ووضع الميكروفيلم بداخله ، وبدأ يشغّل الجهاز .

وعلى الشاشة ظهر عدد من الوثائق تحمل أرقامًا ورموزًا سريّة .. ثم صورة لأحد الأشخاص ، وبجانبه رقم واسم شفرى إلى جوار اسمه الحقيقى .

وفجأة أوقف (صفوان) الجهاز ليسترد الميكروفيلم ، بعد أن أضيئت أنوار الحجرة ، وقال مخاطبًا (الكولونيل) :

ــ ها قد تأكدتَ الآن من نوع البضاعة ، وسوف تكون فى حوزتك كاملة بمجرد تسلمى النقود .

فابتسم (الكولونيل) ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

ــ نعم .. تأكد أننى لن أبخسك حقك .

ثم نادى أحد رجاله ، وكان واقفًا خلف (صفوان) ليقول له :

ـ (كوبرن) ، اعطه المبلغ المطلوب .

واستدار (صفوان) ، ليفاجأ بطلقة نارية تُصوَّب إليه من الرجل الواقف خلفه .

سقط (صفوان) على حافة المكتب وهو يجاهد فى التشبُّث به ، وقد لطخ دمه المكتب وما عليه ، هذا فى حين ظل (الكولونيل) ينظر إليه ، وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ، ويقول له :

ـ هذا هو الثمن الوحيد الذى تستحقه يا عزيزى .

جاهد (صفوان) فى التغلُّب على آلامه ، وخرجت الكلمات من بين أسنانه فى ضعف ووهن تقول :

ـ كنت أتوقع منك ذلك أيها الوغد .. فأنا لم أثق بك قط .

هناك شىء لابدّ أن أخبرك به قبل أن أموت أيها الكولونيل الغبىّ .. إن الجزء الذى شاهدته من

الميكروفيلم ، هو الجزء الأصلى الوحيد .. أما باقى الفيلم فهو زائف ، يحتوى على إعلانات عن لعب الأطفال اليابانية لا أكثر ..

فانتفض (الكولونيل) وهو يمسك بكتفيه ، وهتف :

ـ أنت تكذب أيها الحقير .

صفوان :

ـ بل هى الحقيقة التى ستكشفها الآن بنفسك ، إن الفيلم الحقيقى بأكمله لدى أحد أصدقائى ، الذى وعدنى إذا لم أعد إليه خلال ساعتين من زيارتى لك ، فسيسارع بإحراقه .. وهكذا تجدنا متكافئين فى الغباء .. أنا لأننى تعاملت مع وغد مثلك .. وأنت لأنك استعنت برجل مثلى .

ثم لم تلبث أصابعه أن تراخت من فوق حافة المكتب ، ليهوى إلى الأرض مضرجًا فى دمه وقد فارق الحياة .

ثم لم تلبث أصابعه أن تراخت من فوق حافة المكتب ، ليهوى إلى الأرض مضرجًا فى دمه وقد فارق الحياة ..

فيما كانت نظرات الحنق والغضب تكاد تقفز من عيون (الكولونيل) ورجاله .

* * *



٣ ــ مهمة مصيرية ..

كانت دعوة غريبة حقًا ، تلك التى تلقاها (ممدوح) من اللواء (مراد) ، لمشاطرته فى لعبة الجولف .. تلك اللعبة التى كان اللواء (مراد) حريصًا على ممارستها عدة ساعات من كل أسبوع ، بنادى الجزيرة الرياضى .

فاللواء (مراد) لا يمارس هذه الرياضة غالبًا ، إلا مع عدد محدود جدًا من أصدقائه القدامى .

ولم يسبق له أن دعا أحد ضباط إدارته لمشاركته هذه الهواية .

لذا فقد ظل (ممدوح) طوال الساعتين التى شارك فيها رئيسه اللعب ، ينتظر أن يكشف له عن الأسباب التى تكمن وراء هذه الدعوة .

ولكن هيهات .. فاللواء (مراد) ليس من أولئك



الأشخاص الذين يمكن استخلاص شيء منهم بسهولة .

إنه لم يكن ليدع حتى لتعبيرات وجهه أن تكشف عن مكنوناته الدفينة .. فهو الذى يختار ويحدِّد دائمًا الوقت المناسب للحديث فى أى موضوع ، وطبقًا لما يراه هو أنه الأصوب ..

لذلك شعر (ممدوح) بالارتياح ، عندما توقف اللواء (مراد) عن اللعب ، متأهِّبًا لكسر حاجز الصمت الذى دام بينهما طوال ساعتين .

أمسك اللواء (مراد) بعصا الجولف بين يديه قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ لقد آثرت أن نلتقى هنا اليوم بعيدًا عن الإدارة ، نظرًا لحساسية الموضوع الذى سنتحدث فيه ..

وبدا على (ممدوح) الاهتمام الشديد ، والإنصات التام لرئيسه ، وقد أدرك أن استنتاجه كان صائبًا ، وأن هذه الدعوة تحمل وراءها ما هو أكثر من تزجية الفراغ فى لعبة رياضية .

استأنف اللواء (مراد) حديثه قائلاً :

ـ لعلك قد سمعت عن العملية (ص) .

ممدوح :

ـ نعم (ص ٣٣٣) ؛ إنها العملية التى أسندت إلى العقيد (فهمى) .. وأعرف أنها من العمليات السرِّيَّة للغاية بالنسبة للإدارة .. حتى أن أغلبنا لا يعرف عنها شيئًا .. لدرجة أنه حيل بيننا وبين الاتصال بالزملاء المسندة إليهم ، حتى تنتهى النهاية المرجوَّة ..

اللواء (مراد) :

ـ مع الأسف .. يبدو أن هذه العملية ستنتهى نهاية غير التى خططنا لها .. بل أخشى أن أقول إن هذه العملية قد تنهى عمل الإدارة نفسه ، وتصفِّى نشاطنا بأكمله ..

قطَّب (ممدوح) جبينه ونظر إلى رئيسه فى دهشة قائلاً :

ـ إدارتنا تصفَّى ؟؟ ماذا يعنى هذا يا سيِّدى ؟! .

اللواء (مراد) :

ـ لقد آن الأوان لكى تعرف أسرار هذه العملية .. أنت تعرف أن كل عدة سنوات ، تقوم وزارة الداخلية وجهاز المخابرات المصرية بترشيح عدد من رجال الأمن بالدول العربية والدول الصديقة ، للحصول على تدريب عملى على وسائل الأمن الحديثة داخل إدارتنا .. وذلك باعتبارنا من أجهزة الأمن المميَّزة على المستوى العالمى .. وبرغم أن الدورات التدريبية هذه ترهقنا ، نظرًا لما ينبغى تحقيقه من توازن دقيق ، بين إطلاع هؤلاء المبعوثين على أحدث وسائل وطرق الأمن التى نطبقها داخل إدارتنا ، وبين الحفاظ على السرِّيَّة المطلوبة لعملنا ووسائلنا الخاصة .. إلا أننا لا نستطيع أن نعتذر عن أداء هذا الدور الواجب علينا تجاه دول شقيقة وصديقة .

وخلال إحدى الدورات التدريبية السابقة ، أرسلت إحدى الدول الشقيقة ثلاثة من ضباطها للتدريب بالمكتب (١٩) .

ولكن التحرِّيات التى أجريناها ، أثبتت ـ ويا للأسف ـ أن أحد هؤلاء الضباط ـ ويدعى (صفوان حداد) ـ خائن لبلده ، وأنه يعمل لحساب مهرِّب دولى خطير ، معروف باسم (الكولونيل) .

ممدوح :

ـ نعم .. إننى أذكر هذا الاسم جيِّدًا ؛ فهو من كبار المهربين فى العالم .. وقد أحبطنا له أكثر من محاولة لتهريب الأفيون والهروين إلى الشرق الأوسط .

اللواء (مراد) :

ـ تمامًا .. وهو لم ينس لنا ذلك .. لذا فقد استطاع تجنيد هذا الضابط للعمل لحسابه ، وواتته الفرصة عندما أرسلته دولته للحصول على دورة تدريبية بإدارتنا ، فكلفه تصوير عددٍ من الوثائق والمستندات الهامة والخاصة بالإدارة ، عن طريق (ميكروفيلم) دقيق للغاية .. ثم تهريب هذا الفيلم مقابل مبلغ من المال ، يتيح له الهروب والحياة بالخارج .

ممدوح :

ـ وما الذى كان يهدف إليه (الكولونيل) ، من وراء تصوير هذه الوثائق والمستندات الخاصة بنا ؟

اللواء (مراد) :

ـ إن كشف هذه الوثائق والمستندات ، سواء عن طريق أجهزة الإعلام ، أو أجهزة المخابرات المعادية ، يعنى القضاء على سرِّيَّة عملنا وعملائنا ؛ فعندما تصبح إدارة مثل إدارتنا بدون غطاء سرِّى ومكشوفة أمام العالم ، فهذا يعنى نهاية هذه الإدارة ، وتصفية عملها .. و (الكولونيل) يعرف ذلك جيِّدًا .. ونحن أيضًا نعرفه ، فقد تكشَّفت لنا أبعاد هذه العملية منذ اللحظة الأولى ، وذلك بالتعاون بيننا وبين الدولة الشقيقة ، التى كشفت مؤخرًا حقيقة رجلها .

لقد كان الهدف النهائى لـ (الكولونيل) من وراء هذه العملية ، تحقيق غرضين :

الأول : تهديدنا بكشف هذه الوثائق والمستندات ،

إذا لم نقم بالإفراج عن رجاله الذين قمنا باعتقالهم فى العام الماضى .

الثانى : المساومة على أن نغض النظر عن إحدى عمليات التهريب ، التى يزمع القيام بها داخل بلادنا فى القريب ..

وبالنسبة لنا فقد اعتبرنا هذا العميل الخائن فرصة تتيح لنا الوصول إلى (الكولونيل) نفسه ، وهى فرصة لم تتح للكثير من أجهزة الأمن الدولية ، التى تطارده فى أنحاء متفرِّقة من العالم .

لذا فقد قررنا تسهيل مأموريته ، مع وضعه تحت المراقبة الدائمة منذ اللحظة الأولى ، حتى وصوله إلى مقر (الكولونيل) ، ويبدو أننا قد أفرطنا فى الثقة ، فلم نقلق كثيرًا لتصويره الوثائق والمستندات السرِّيَّة الخاصة بالإدارة ، واضعين فى اعتبارنا أن (الميكروفيلم) الذى سيحتوى على هذه الأسرار ، سيكون بين أيدينا قبل وصوله إلى (الكولونيل) .. فقد كانت الخطة الموضوعة تتضمَّن

الإطباق على (الكولونيل) ورجاله ، فى اللحظة التى يصل فيها (صفوان) إلى مقره .. وهى خطة رسمت بدقة ، وتعاون فيها العقيد (فهمى) مع عدد من أجهزة الأمن المختلفة ، ومن بينها مباحث (هونج كونج) ، التى كانت هى المحطة الأخيرة لنهاية هذه العملية .

ممدوح :

ـ وما الذى حدث ؟.

اللواء (مراد) :

ـ الذى حدث .. هو أن (صفوان) لجأ إلى حانوت صغير للتحف الصينية فى (هونج كونج) ، قبل أن يتوجَّه إلى مقر (الكولونيل) ، ليختفى بعدها تمامًا ..

ممدوح :

ـ وكيف يختفى على هذا النحو ؟.

اللواء (مراد) :

ـ لقد علمنا بعد ذلك أن هذا الحانوت يحتوى على ممر سرّى ، ينتهى إلى إحدى الغابات القريبة .. أما عن صاحب الحانوت فقد اختفى بدوره ..

ممدوح :

ـ و (الكولونيل) ؟

اللواء (مراد) :

ـ لقد توصَّلنا إلى مقره فى النهاية ، ولكن بعد فوات الأوان .. فيبدو أنه شعر بوصولنا ، واستطاع الهروب بوسيلة ما ، فلم يكن موجودًا هو أو رجاله ، وإنما وجدنا بدلاً منه جثة (صفوان) ملقاة على الأرض ، وقد مزقها الرصاص ، وميكروفيلم زائف إلى جواره .

ممدوح :

ـ أمر غريب حقًّا .

اللواء (مراد) :

ـ الأغرب منه أننا قد تلقَّينا رسالة غريبة من أحد الأشخاص ، يخبرنا فيها بأن الفيلم الحقيقى لم يصل بعد

إلى (الكولونيل) ، وأنه لديه لم يطلع عليه أحد بعد .. وأنه إذا ما كنا حريصين على استرداده ، فعلينا أن نرسل شخصًا ما للتفاهم مع ذلك الرجل .. الذى لم يذكر حتى اسمه ..

وهنا أطرق المقدم (ممدوح) برهة ، ثم رفع رأسه ، وقال :

ـ إنى على استعداد للتفاهم معه .. وأرجو أن تكون سيادتكم قد رشحتنى للقيام بهذا الدور .

دسَّ اللواء (مراد) يده فى جيبه ، ثم أخرجها وبها تذكرة طائرة ، قدمها إلى (ممدوح) قائلاً له :

ـ هذه تذكرة سفر إلى (هونج كونج) ، فى الطائرة التى ستقلع مساء غد .. والآن هيّا بنا نذهب إلى المكتب للاتفاق على التفاصيل .

* * *

٤ ـ ساحة الموت ..

فى اليوم التالى لوصوله إلى (هونج كونج) ، توجه (ممدوح) لمشاهدة مباراة فى المصارعة الصينية ، بإحدى الساحات الرياضية الشهيرة فى تلك الجزيرة ، والتى تعرف بساحة الموت .

فقد كان الاتفاق أن يلتقى (ممدوح) بأحد أتباع ذلك الرجل الذى يحوز (الميكروفيلم) ، داخل هذه الساحة الرياضية أو ساحة الموت كما يسمونها .

ولم تكن هناك ثمة وسيلة للتعارف ، سوى ارتداء (ممدوح) لقميص و (بنطلون) بنفسجى اللون ، ثم الجلوس فى إحدى زوايا الساحة ، ممسكًا بطاقة من زهور البنفسج ، فى انتظار قدوم ذلك الرجل .

ولم يكد (ممدوح) يدخل إلى الساحة الرياضية حتى شعر بحرج شديد ؛ فقد جذب مظهره الغريب

انتباه الحاضرين ، وتغامزوا عليه .. ولكنهم سرعان ما انشغلوا عنه عندما أعلن حكم الحلبة عن بدء المصارعة .

وبدت تلك الساحة الرياضية بالنسبة لـ (ممدوح) ، أقرب إلى الساحات الشعبية منها إلى ساحة للمصارعة ، حيث تراصت أعداد من المقاعد الخشبية ، تحيط بحلبة مصارعة قديمة ، وقد جلس عليها جمهور المشاهدين متلاصقين ، وقد غلب عليهم انفعال وحشى صارخ ، وهم يلوّحون ويهلّلون للمنافسَيْن فوق الحلبة .. أما المصارعان فلم يكونا أقل وحشية أو قسوة من كل هؤلاء الذين يشاهدونها ..

وبدا المصارعان بجسديهما الضخمين أقرب إلى الدببة المتوحشة ، أو الغوريلّات الهائجة .. وأضفَت تلك الأقنعة الجلدية التى وضعاها فوق وجهيهما على مظهريهما مزيدًا من الوحشية والبشاعة .

واختار (ممدوح) لنفسه مكانًا وسطًا بين الجمهور

المتحمِّس ، وراح يتابع هذه المباراة الغريبة .

وبدا له أن هذه المصارعة لا تخضع لأى قواعد سوى قاعدة العنف المطلق ؛ إذ رأى الخصمين وهما يستخدمان جميع الوسائل والأساليب المعروفة وغير المعروفة ، لأنواع مختلفة من المصارعة والملاكمة ، والكاراتيه ، والتايكوندو ، بصورة تتنافى وكل القواعد المتفق عليها بالنسبة لهذه الألعاب .

ومرت على (ممدوح) خمس عشرة دقيقة ، وهو يتابع ذلك العراك الدامى ، الذى يدور أمامه فوق حلبة المصارعة ، دون أن يظهر ذلك الشخص الذى جاء من أجله .

إلى أن شعر برجل يتخذ مجلسه بجانبه ، وقد أخذ بدوره يتحمَّس للمباراة ، وهو يصيح ويلوّح بيديه .

ثم لم يلبث أن تحوَّل هذا الرجل إليه قائلاً :

ـــ أمرك غريب أيها الأجنبى .. إنك تبدو غير مكترث قط بالمصارعة .. أتأتى عادة لمشاهدة مباريات

المصارعة حاملاً طاقة من الزهور ؟

علق (ممدوح) قائلاً :

ـ إننى لا أستطيع أن أفارق زهور البنفسج فى أى مكان أذهب إليه .

ابتسم الرجل الآسيوى قائلاً :

ـ أعرف شخصًا آخر يعشق ذلك النوع من الزهور ، وهو يريد أن يتعرَّف بك .. فهل ترغب فى أن تأتى معى لمقابلته ؟

أيقن (ممدوح) أن محدِّثه هو الشخص المنشود ، فأجابه قائلاً :

ـ سيكون ذلك من دواعى سرورى .

الرجل الآسيوى :

ـ إذن اتبعنى ..

ونهض الرجل من مكانه ليغادر المكان و (ممدوح) فى أثره .. وفى الخارج كانت هناك سيارة عتيقة الطراز فى انتظار (ممدوح) ، وقد جلس سائقها أمام عجلة القيادة .

ودعاه الرجل الآسيوى لركوب السيارة ، ثم جلس إلى جواره ، لتنطلق بهما بعيدًا عن المدينة .

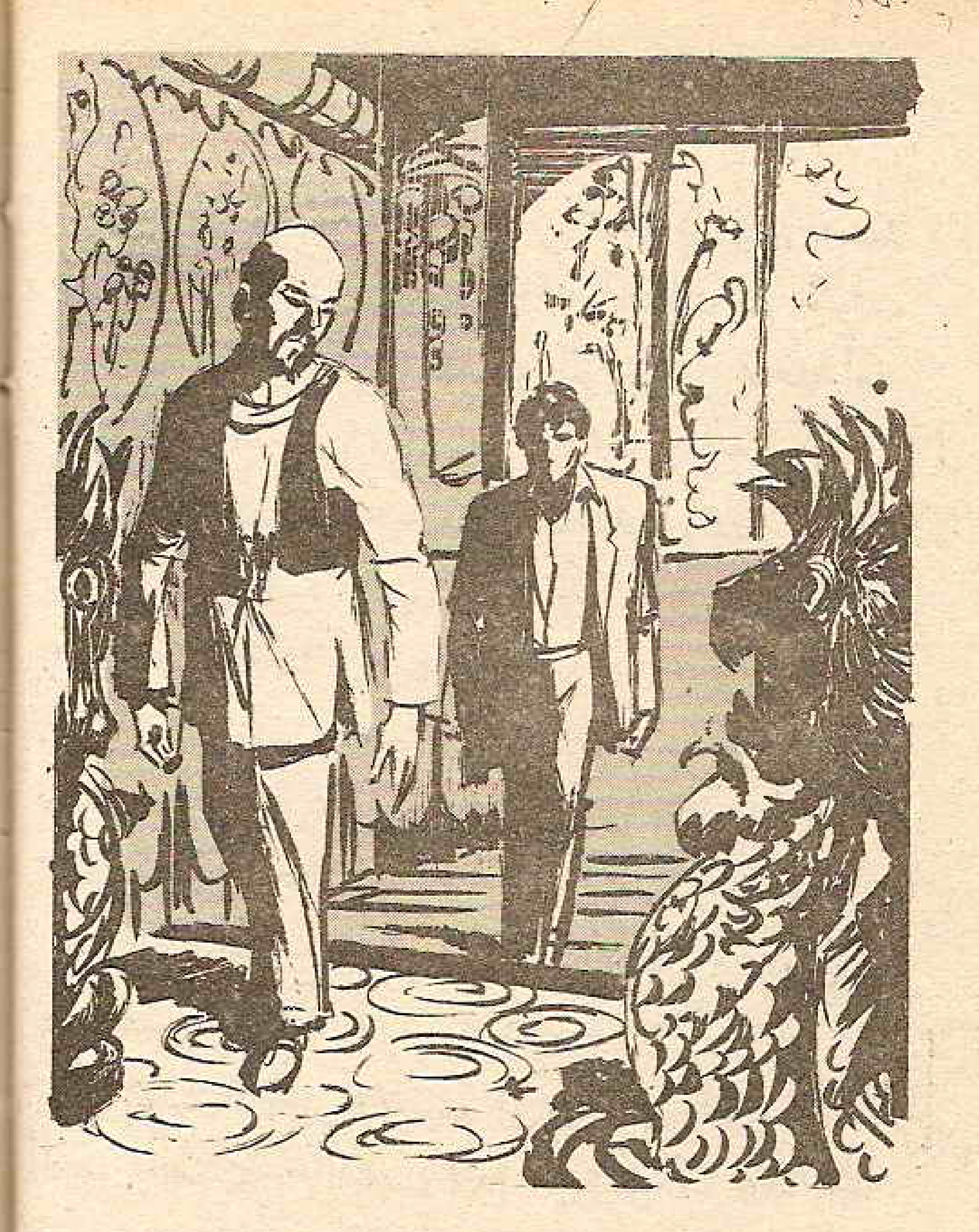
وبعد مسيرة ساعة أو نحوها ، وصلوا إلى قصر مشيَّد على الطراز الصينى القديم ، وقد أحاطت به الأبواب الحديدية ، التى سارع عدد من الرجال إلى فتحها أمام السيارة .

واستأنفت السيارة العتيقة سيرها ، وسط مساحة شاسعة من الخضرة الجميلة ، المحاطة بأحواض عديدة من زهور البنفسج .

إلى أن توقفت أمام مبنى القصر الداخلى ، الذى تزيِّنه رسوم صينية غريبة الشكل ، وقد أحاطت به تماثيل مختلفة لوحوش خرافية .

ارتقى (ممدوح) درجات سلم القصر ، وهو يدير بصره فيما حوله .

واقتاده الرجل الآسيوى إلى إحدى الغرف ذات المظهر الغريب ، الذى يتلاءم مع كل ما يحيط بهذا القصر من غموض وغرابة .



ارتقى (ممدوح) درجات سلم القصر ،
وهو يدير بصره فيما حوله ..

كانت الغرفة على شكل دائرى ، وأثاثها كله مكسو بقماش مخملى داكن الحمرة .. وقد توسطها تمثال ضخم لتنّين مخيف ذى أجنحة ..

طلب منه الرجل الآسيوى الانتظار داخل الغرفة ، حتى يحضر السيد (لى سونج) لمقابلته ، ثم تركه وانصرف .

كانت هى المرة الأولى التى يسمع فيها (ممدوح) باسم مضيفه .. إن الاسم ليس غريبًا على أذنه .. خيّل إليه أنه قد سمع هذا الاسم من قبل .

ولكن أين ؟ لا يذكر .

وشدّ انتباه (ممدوح) تمثال التنّين الرهيب ، ليصرفه عن الاستغراق فى محاولة تذكّر الاسم .. فلبث يرقب النظرات المخيفة التى تنبعث من عينى التمثال ، محدّثًا نفسه :

ــ لا شك أن الفنان الذى نحت هذا التمثال كان بارعًا للغاية ؛ فهذا التنّين المخيف يكاد يبدو حقيقيًا ،

لدرجة أن المرء يخشى أن يلمسه ، برغم يقينه أنه أمام تمثال أصمّ .

وبينما هو فى تأمُّله للتمثال البشع ، سمع صوتًا يأتيه من خلف يقول :

ـــ حذار أن يفتك بك تنِّينى أيها الصديق ، فهو لا يرتاح لنظراتك المتطفِّلة .

* * *



٥ ـــ السيد لى سونج ..

استدار (ممدوح) بحدَّة ، ليرى خلفه رجلاً قصيرًا بدينًا ، أصلع الرأس ، ذا عينين ضيقتين ، وشارب رفيع يتدلّى فوق شفتيه ، وقد ارتدى عباءة صينية ، كتلك التى كان يرتديها أباطرة الصين فى عصورهم القديمة .

وأمسك الرجل الصينى بإناء من الفخّار ، فوق مائدة فى أحد أركان الغرفة ، وصبَّ منه بعض العصير فى كوب صغير ، قدَّمه لـ (ممدوح) قائلاً :

ـــ هذا (الكوكتيل) من الفواكه النادرة ، لا نقدمه إلا للضيوف الأعزاء .. قل لى هل أعجبك التمثال ؟

تناول (ممدوح) كوب العصير وهو يشكره قائلاً :

ـــ إنه يثير الإعجاب والرهبة فى آن معًا ..

قال له الرجل الصينى ساخرًا :

ـــ يقال إننا متشابهان ،أنا وهذا التنِّين..فما رأيك؟

وتجاهل (ممدوح) السؤال ، وقال :

ـــ إنك السيد (لى سونج) فيما أعتقد ؟

أجابه الرجل الصينى قائلاً :

ـــ تمامًا أيها المقدم (ممدوح) .

ودهش (ممدوح) ، وسأل :

ـــ وكيف عرفت اسمى ؟

فأخرج (لى سونج) من جيبه جواز السفر الخاص بـ (ممدوح) ، ليقدمه له قائلاً ، وهو يتأمّل وقع المفاجأة عليه :

ـــ أليس هذا هو جواز سفرك ؟. كان عليك أن تكون حذرًا عند ذهابك إلى ساحة الموت ، فالنشالون هناك خطرون للغاية .

ابتسم (ممدوح) وهو يتناول جواز سفره ، قائلاً له :

ـــ يبدو أن لديك هناك فريقًا كاملاً منهم .

وجلس (لى سونج) على أحد المقاعد ، ليبادل (ممدوح) ابتسامته بابتسامة صفراء ، قائلاً :

ـــ ليس النشالون فقط هم كل فريقى يا سيِّد (ممدوح) .. فلدىَّ أيضًا مغامرون ، ومهربون ، وقتلة محترفون ، وكلهم يخضعون لنفوذى ، ويأتمرون بأمرى .

وهنا تذكّر (ممدوح) ذلك الرجل .. لقد أرسل عددًا من رجاله إلى القاهرة منذ سنوات ، فى محاولة لاغتيال أحد الدبلوماسيين الآسيويين ، مقابل مبلغ من المال دفعته له إحدى المنظمات السياسية المتطرفة ، ولكن إدارة العمليات الخاصة نجحت فى إحباط هذه المحاولة قبل ارتكاب الجريمة بلحظات .. وقد تردَّد وقتها اسم (لى سونج) فى التحقيقات .

وابتسم (ممدوح) فى قرارة نفسه بمرارة ، وحدَّث نفسه قائلاً :

ـــ إذن فالميكروفيلم أفلت من يد (الكولونيل) ، أحد الأعداء الألدّاء لإدارتنا ، ليقع فى يد عدوّ ألدّ ، بل أشد خطـــورة ، وهـــو (لى سونج) ، زعيم أكبر العصابات الصينية .

وقطع (لى سونج) على (ممدوح) تفكيره قائلاً له :

ــ والآن ، دَعْنا ندخل فى الموضوع مباشرة .. إنكم تبحثون عن (ميكروفيلم) يحتوى على أدق أسرار جهازكم الأمنى ، المعروف بإدارة العمليات الخاصة ، وهذا الميكروفيلم فى حوزتى .. لقد سلّمه لى ذلك الأحمق (صفوان) ، قبل أن ينهى تلك الصفقة التى أراد أن يعقدها مع (الكولونيل) ، معتقدًا أننى سأتكفل بحمايته من شرور (الكولونيل) مقابل مائة وخمسين ألف دولار فقط .. أو أننى سأكون من الإخلاص بحيث أنفِّذ وصيته ، وأحرق ذلك (الميكروفيلم) فى حالة موته .

وبما أنه ليس من المعروف عنى صفة الإخلاص ، فلم يكن يعنينى كثيرًا أن يبقى رجال (الكولونيل) على ذلك التعس ، أو يتخلّصون منه .

كما أننى لست من الحمق ، بحيث أدع (ميكروفيلم) كهذا يحترق ، خاصة بعد أن أصبح يمثل

ثروة بالنسبة لمن يحوزه .. ولكى أكون صريحًا معك دعنى أقول لك إننى لا أهدف إلى تصفية أحقاد قديمة بينى وبين (المكتب ١٩) ، كما كان يهدف (الكولونيل) ، برغم أنكم أحبطتم لى إحدى عملياتى الهامة ، كما أنه لم تعد لى مصالح على درجة من الأهمية بالنسبة لبلادكم ، حتى أساومكم عليها عن طريق هذا الفيلم الذى أحوزه .. إننى رجل عملى ، وأعرف كيف أستثمر ما فى يدى .. كما أننى أدرك مدى أهمية هذا الفيلم ، وأن فيه نهاية أو بقاء إدارتكم الشهيرة .

وبرغم العداء القديم بينى وبين (الكولونيل) ، إلا أنه فى اعتقادى سيكون على استعداد للاتفاق معى على دفع عدة ملايين من الدولارات ، مقابل الحصول على هذا الفيلم .

وليس هو وحده الذى سيكون مستعدًا لعقد مثل هذا الاتفاق ، فأعداؤكم كثيرون ، وكلهم مستعدون لدفع مبالغ أكبر .. ولكنى قدرت أن حبّ البقاء قد

يدفعكم إلى التضحية بدفع مبلغ يتجاوز ما يدفعه الآخرون .. لذا فإننى سأفتتح المزاد بعشرة ملايين دولار ، ولمدة أسبوع واحد فقط اعتبارًا من اليوم .. وسوف يكون (الميكروفيلم) من نصيب من يدفع أكثر ، ويرسو عليه المزاد فى النهاية .

فإذا أرادت إدارتكم أن تدخل المزاد ، فعليك أن تبلغ رؤساءك بأن الاتفاق النهائى سيكون فى نهاية هذا الأسبوع ، وفى نفس الموعد ، وسوف يحضرك رجالى إلى أحد الأماكن بنفس الطريقة ، للانتهاء من هذه الصفقة ..

وهزّ (لى سونج) جرسًا صغيرًا أمامه ، فظهر إليه ثلاثة رجال .

ودون أن يدع لـ (ممدوح) فرصة التعقيب على كلامه ، أشار للرجال الثلاثة قائلًا :

ــ أوصلوا هذا السيّد إلى المدينة .

واصطحب الرجال الثلاثة (ممدوح) إلى الخارج .

ولكن قبل أن يجتازوا باب الحجرة ، استوقفهم (لى سونج) قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ لقد فاتنى أن أخبرك بملحوظة صغيرة ، أريد منك أن تنقلها لرؤسائك ؛ ليأخذوها بعين الاعتبار .. إن أى محاولة لاستعراض ذكائكم معى .. أو اللجوء لوسائل أخرى غير المال للحصول على (الميكروفيلم) ، فضلاً عن عدم جدواها .. فإنها ستؤدى إلى خروجكم من المزاد بصفة قطعية ..

واستدار عائدًا ، دون أن يدع لـ (ممدوح) الفرصة مرة أخرى للتعقيب ..

* * *

٦ ـــ داخل قصر التنِّين ..

عقـدد المقـدم (ممدوح) والعقيـد (فهمـى) من إدارة العمليات الخاصة ، اجتماعًا مع الجنرال (كاى شينج) رئيس مباحث (هونج كونج) .. وذلك من أجل الاتفاق على وضع خطة لمواجهة هذا الابتزاز الإجرامى ، الذى يريد أن يفرضه (لى سونج) على الحكومة المصرية .

وكان تصريح رئيس المباحث الصينية مخيبًا للآمال ، إذ قال لهما :

ــ إننا نعرف مدى خطورة (لى سونج) ، وأنه يسيطر على عدة عصابات فى (هونج كونج) ، ترتكب أنواعًا مختلفـة من الجرائم ، لكـن للأسف لا نملك حتى الآن أدلة قاطعة تحت أيدينا تمكّننا من مواجهته ، وإلقاء القبض عليه .



فرجال عصاباته يطبقون دائمًا شفاههم ، ولا يدلون بأدنى اعتراف عند القبض عليهم ، ولا يتيحون لنا الحصول على أى دليل لإدانته ؛ فهم يعرفون المصير الذى ينتظرهم ، إذا ما أدلوا باعترافات صريحة عن نشاط (لى سونج) الحقيقى ، ومؤسسته الإجرامية .

فضلاً عن أن هذا الرجل له هنا نفوذ قوى للغاية ، يتيح له الاختفاء وراء شخصية رجل الأعمال الثرى .

العقيد (فهمى) :

ــ إن كل ما نبغيه هو مساعدة وتسهيل مهمة أحد رجالنا للتسلُّل إلى قصره ، بحثًا عن (الميكروفيلم) .

كاى شينج :

ــ لكن ذلك يعرِّضنا لمسئولية جسيمة .. فليس من المقبول أن نساعد شخصًا ما وأيا كان قصده ، فى التسلُّل إلى مساكن الآخرين ، مهما كانت الشبهات تحوم حولهم ، وذلك ما دمنا لا نملك أدلَّة مؤكدة ضدهم .

المقدم (ممدوح) :

ــ إنكم لن تحصلوا على دليل إدانة واحد ضد (لى سونج) خارج أسوار قصره .. فهو حريص للغاية كما تقول ، وقد يمكن التوصُّل إلى هذا الدليل إذا ما ساعدتنى فى التسلل إلى قصره .. فقد يكون فى اختراق حاجز السرِّيَّة المضروب حول قصر (لى سونج) بداية النهاية ، للقضاء على نفوذه الإجرامى فى (هونج كونج) ، وأجزاء من العالم شتى .

كاى شينج :

ــ لو أنه كشف مساعدتنا لك دون وصولك إلى دليل له وزنه ، فإن ذلك سيورِّطنا فى متاعب جمَّة مع المحامين والهيئات القضائية .

العقيد (فهمى) :

ــ إننا سنتحمَّل فى النهاية المسئولية كاملة ، فى حالة وقوع أى خطأ ، ووقتها يمكن اعتبارنا أشخاصًا غير مرغوب فيهم ، وترحيلنا فى خلال أربع وعشرين ساعة من (هونج كونج) .

وأمسك (كاى شينج) بذقنه ، وقد بدا عليه التفكير العميق .. ثم عاد يقول :

ـ قد يتوقّف هذا على الخطة التى ستلجئون إليها لدخول قصر (لى سونج) .

العقيد (فهمى) :

ـ سأشرح لك خطتنا .

* * *

هدأت سيارة الشرطة التابعة لبوليس (هونج كونج) من سرعتها ، أمام البوابة الحديدية لقصر (لى سونج) ، فلم تلبث أن أضيئت الأنوار الخارجية للقصر بمجرد توقُّف السيارة .

وتقدم اثنان من حراس القصر إلى البوابة الحديدية ليستوضحا من ضابط الشرطة عن مراده ..

قال لهما ضابط الشرطة :

ـ لقد جئنا لمقابلة (لى سونج) .

تساءل الحارس بجفاء :

ـ لماذا ؟

ضابط الشرطة :

ـ هذا ليس من شأنك ، أخبره فقط أننى أريد مقابلته .

وأشار الحارس لزميله ، كى يبلِّغ (لى سونج) بمقدم سيارة الشرطة ، وظل هو واقفًا خلف الأسوار الحديدية ، يحدّق فى ضابط الشرطة ، وعلى وجهه ملامح الريبة .

واتصل زميل الحارس عن طريق التليفون الموجود بالكشك القريب من البوابة بالسيد (لى سونج) ، لإبلاغه بوصول سيارة الشرطة .

وبعد قليل عاد يقول لزميله :

ـ إن السيد (لى سونج) قد أذن لك أن تسمح لهم بالمرور للحضور إليه .

قام الحارس بفتح البوابة الحديدية أمام سيارة الشرطة ، التى كانت تضم ثلاثة من رجال البوليس الصينى ..

وتوقفت السيارة مرة أخرى أمام المبنى الداخلى للقصر ، حيث كان حارس آخر يقف على الدرجات الأولى للسلم فى انتظارها ، ثم اقتاد الحارس ضباط الشرطة الثلاثة إلى السيد (لى سونج) .

وفى نفس الغرفة ذات الأثاث المخملى الأحمر ، التى يتوسطها تمثال التنين البشع .. كان السيد (لى سونج) واقفًا لاستقبالهم ، حيث تقدَّم إليه الضابط المسئول قائلاً :

ـ يؤسفنى أن نتسبَّب فى إزعاجك يا سيِّد (لى سونج) .. ولكننا نبحث عن أحد المشتبه فيهم ، ولدينا معلومات قوية تدل على أنه داخل قصرك .

وعلت وجه (لى سونج) علامات الاستياء والغضب ، وقال :

ـ داخل قصرى ؟!! يجب أن تعلم أيها الضابط ، أن قصر (لى سونج) من أكثر الأماكن احترامًا فى (هونج كونج) .

ضابط الشرطة :

ـ سيِّدى .. إننى لا أقصد أى إساءة لك .. لكن قد يكون هذا الشخص حاول الاختفاء هنا بشكل أو بآخر ، أو تسلَّل إلى القصر فى محاولة للسطو عليه .. وكل ما أطلبه أن تسمح لنا بتأدية مهمتنا ، وتفتيش قصرك بحثًا عن ذلك المجرم .. فنحن هنا فى مهمة رسمية .

ونظر إليه (لى سونج) قليلاً ، ثم قال :

ـ أمعك أمر بالتفتيش ؟.

فأبرز له الضابط المسئول أمر التفتيش ، وبعد تردُّد وافق (لى سونج) على إجراء التفتيش قائلاً :

ـ حسنًا .. سأسمح لكم بالتفتيش من الخارج ، ولكننى لن أسمح بتقليب محتويات هذا القصر وتحفه الثمينة من الداخل .. ذلك وإلا اضطررت لتقديم شكوى رسمية إلى الجهات المسئولة .

ضابط الشرطة :

ـ حسنًا .. إننى أوافق ، والآن هل تسمح لى

بتوزيع رجالى فى أرجاء القصر ؟

وبينما الضباط الصينيون يبدءُون فى تأدية مهمتهم ، أشار (لى سونج) إلى رجاله بمراقبتهم جيِّدًا .

وفى أثناء ذلك ، وفيما كان الجميع مشغولين بهذا الجدل الدائر ، غاب عن رجال (لى سونج) أن يهتموا بالسيارة التى أحضرت رجال الشرطة ..

فلم يكد رجال الشرطة يدخلون لمقابلة (لى سونج) ، حتى تحرَّك المقعد الخلفي للسيارة ، ليبرز (ممدوح) من أسفله ، حيث كان مختبئًا فى تجويف سرِّى للمقعد .

ثم قام بفتح باب السيارة سريعًا ، بعد أن تأكد من خلو المكان ، وأسرع يخطو بحذر ، متجهًا نحو الأشجار الكثيفة المحيطة بالقصر .. وباستخدام بعض معداته التى معه ، قام يتسلَّق جدران القصر ، حتى انتهى إلى إحدى نوافذه المفتوحة .

وإن هى إلا ثوان ، حتى كان يقفز من خلال هذه النافذة إلى الداخل ، ومن بعيد ، وفوق الهضبة العالية



قام يتسلَّق جدران القصر ، حتى انتهى إلى إحدى نوافذه المفتوحة ..

المطلّة على القصر ، كان هناك شخص ما يرقب هذا المشهد بمنظاره التلسكوبى المكبر ، ثم أشار بإبهامه لطائرة هليكوبتر تقل بعض الرجال ، كانت تختفى وراء الهضبة العالية .

* * *



٧ — الطعنة القاتلة ..

تسلّل (ممدوح) بخفّة وحذر داخل الحجرة الخالية ، ثم فتح بابها بهدوء وهو قابض على مسدسه ، ثم لم يلبث أن اندفع خارجًا .. وفى الخارج وجد نفسه فى بهو كبير ، تزدان جدرانه بالنقوش الصينية المختلفة ، التى تعبّر عن الحضارة الصينية القديمة .

وهبط (ممدوح) درجات السلم المؤدية إلى الدور السفلى ، دون أن يلمح أحدًا أو يلمحه أحد ..

فعلى ما يبدو كان اهتمام الجميع منصرفًا إلى مجموعة رجال الشرطة الذين قدموا إلى القصر ، فلم يشغلهم أى شاغل آخر ..

اقترب (ممدوح) من الحجرة الدائرية التى تحتوى على تمثال التنّين ، ولكنه سمع فجأة وقع أقدام مقبلة من بعيد ، فأسرع يفتح باب حجرة أخرى مجاورة ؛ ومرق

إلى داخلها ينشد الاختباء ..

ودهش (ممدوح) وهو يتحسَّس خطواته فى ظلام الحجرة ، عندما اصطدمت يده بتمثال صغير لأحد الفيلة معلق على جدران الحائط ، عندما تبيَّن له أن التمثال يتحرَّك جانبيًا من مكانه ، ووراءه كانت تقبع مرآة صغيرة عاكسة تنقل صورًا لكل ما يجرى داخل الغرفة الدائرية .

وبجوار المرآة لمح (ممدوح) زرًّا صغيرًا متصلاً بسماعة تنقل الصوت ..

دنا (ممدوح) من المرآة ، فاستطاع أن يشاهد ضابط الشرطة المسئول الذى قدم منذ قليل ، وهو يتحدث مع (لى سونج) ويقول :

ــ إننا لم نجد للأسف أى أثر لذلك اللص فى مختلف أرجاء القصر ، برغم المعلومات المتوافرة لدينا .. فمعذرة إليك عن إزعاجك يا سيِّد (لى سونج) ، وإن كنا نرجو أن تسارع بإبلاغنا عن أى شىء قد يثير اشتباهك .

فابتسم (لى سونج) ابتسامته الباردة ، قائلاً :

ــ تأكد أنه يسعدنى أن أتعاون مع رجال الأمن دائمًا .. والآن هل تشاركنى شرب الشاى أيها الضابط الشاب ؟

أجابه الضابط قائلاً :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .. فعلىَّ أن أعود الآن إلى مقر عملى ، لكى أقدم تقريرًا حول التفتيش الذى أجريناه .

وودعهم (لى سونج) قائلاً :

ــ سأكون فى خدمتكم دائمًا .. وثق أننى سأبلغكم بأى شىء قد يثير الاشتباه ..

انصرف الضابط وزملاؤه ، فى حين وقف (لى سونج) يرقبهم من خلال زجاج النافذة .

وفجأة ، بينما (ممدوح) يراقب ما يجرى داخل الغرفة الدائرية ، إذ بيد كالفولاذ تمتد فى الظلام ، لتطبق على عنقه بقوة .

حاول (ممدوح) أن يتخلَّص من القبضة الفولاذية دون جدوى .. وقبل أن يفكر فى استخدام مسدسه ، كانت اليد القوية قد دفعته ، ليرتطم بعنف بجدران الحائط .

ثم لم يلبث أن فوجئ بضربة قوية على يده ، أفلتت المسدس من قبضته ، وفى اللحظة التى استدار فيها (ممدوح) نحو مهاجمه ، كانت لكمة هائلة قد سدِّدت إليه لتطرحه أرضًا .

حاول (ممدوح) أن ينهض من مكانه ، لكن مهاجمه لم يمهله ، إذ سدَّد له ضربة عنيفة بسن حذائه ، جعلت الدماء تنزف من فمه .

ومن خلال الضربات العنيفة ، التى كانت توجَّه لـ (ممدوح) ، استطاع أن يتبيَّن شخصية الرجل .. لم يكن سوى أحد هذين المصارعين العملاقين ، اللذين شاهدهما يتصارعان فى ساحة الموت .. ولكنه كان سافر الوجه ، بدون القناع الذى كان يضعه على وجهه فى

أثناء المصارعة .. بدا ذلك الوجه لـ (ممدوح) أكثر بشاعة من القناع المخيف الذى كان يتلثم به .

وبرغم القتال غير المتكافئ بينه وبين خصمه العملاق ، فقد حاول (ممدوح) الدفاع عن نفسه ، فأمسك بالرجل من ذراعه ، محاولاً استخدام كل ما تعلمه عن فنون المصارعة ، والحركات المباغتة التى تطيح بالخصم .. لكن الرجل لم يتزحزح من مكانه ، فقد لبث ثابتًا كالطود .. كان حجمه ثلاثة أمثال حجم (ممدوح) .. بل تمكَّن الرجل أن يرفع (ممدوح) إلى أعلى ، وكأنه يرفع طفلاً صغيرًا ، ويقذف به إلى الأرض فى عنف .. فلم يلبث (ممدوح) أن فقد رشده .. وبعدها .. قام المصارع بتحريك تمثال الفيل المعلّق على الحائط فى حركة جانبية إلى الاتجاه العكسى ، لينفتح باب جانبى يفصل بين الحجرتين .

كان (لى سونج) وقتئذ جالسًا على الأرض ، أمام مائدة صغيرة عليها أدوات الشاى ، وقد جلست إلى

جواره فتاتان صينيّتان تعدان له الشاى ، فوجئ بالمصارع العملاق وهو يقتحم عليه جلسته ، جارًا (ممدوح) على الأرض ليلقى به أمامه قائلًا :

ـــ لقد عثرت على هذا الرجل ، وهو يتجسّس عليك من خلال المرآة الصغيرة فى حجرة الفيلة .

وعلى الأثر صفق (لى سونج) بيديه ، فأسرعت الفتاتان تنصرفان .. ونظر إلى (ممدوح) وهو يبتسم قائلًا :

ـــ لقد ساورتنى الشكوك منذ البداية .. إذن لم يكن ذلك التفتيش سوى خدعة ، القصد منها إدخال ذلك الوغد إلى قصرى .

ونهض (لى سونج) من جلسته ، يمسك بشعر (ممدوح) ويشده قائلاً له :

ـــ إنكم أغبياء ، عندما تظنون أنكم تستطيعون استرداد أسراركم بهذه الأساليب العقيمة .. لقد حذرتكم منذ البداية .. وها كم قد خسرتم الصفقة إلى الأبد .

ثم التقط سيفًا ضخمًا معلّقًا على الحائط ، وقذفه إلى المصارع قائلاً له :

ـــ والآن ، أرنى كيف تؤدى عملك ؟

ابتسم المصارع وهو يلتقط السيف كاشفًا عن نواجذه ، وكأنه سعد بهذا الشرف الذى أولاه إيّاه سيِّده .

أما (ممدوح) فقد بدأ يسترد وعيه شيئًا ما ، وقد شعر بالخطر المحدّق به .

فلم يكد المصارع يرفع السيف ليهوى به على رأس (ممدوح) ، حتى كان الأخير قد التقط أبريق الشاى الذى على المائدة القريبة فى مثل لمح البصر ، وقذف بمحتوياته فى وجه المصارع الضخم .

صرخ الرجل صرخة عالية ، وسقط السيف من يده ، وأدنى راحتيه من وجهه الذى احترق بالشاى الشديد الحرارة وقد طار صوابه .. ثم أبعد راحتيه من فوق وجهه ، ناظرًا إلى (ممدوح) بوحشية وجنون ..

وهمَّ بالانقضاض عليه ، كغوريلّا ثائرة تريد أن تفتك بعدوِّها .

لكن (ممدوح) كان أسرع منه .. ففى مثل ومض البرق التقط السيف الملقَى على الأرض .

وفى اللحظة التى اندفع فيها المصارع نحوه ، كان (ممدوح) قد دفع بالسيف إلى صدره ليطعنه طعنة نجلاء ..

وارتسم الرعب على سحنة المصارع ، وهو ينظر إلى الدماء التى تنزف منه وهو لا يكاد يصدِّق .. فى حين كان السيف لم يزل مغروسًا فى صدره ، وقد نفذ من ظهره ..

ثم لم يلبث أن هوى على الأرض قتيلاً .

* * *

٨ ــ طائر الموت ..

لم يكن (ممدوح) قد التقط أنفاسه بعد ، حين فوجئ بـ (سونج لى) يدير رأس تمثال التنِّين القائم فى منتصف الغرفة نحوه ، ويضغط على ذراع خفىّ فى رأس التمثال إلى أعلى .

وأخذ التنِّين يقذف دفعات من اللهب من فمه فى اتجاه (ممدوح) ، الذى تفادى النيران بأعجوبة .

كان رأس التمثال يدور فى جميع زوايا الغرفة الدائرية قاذفًا اللهب ، و (ممدوح) يقفز كالبهلوان ، محاولاً أن يتفاداها ..

وضحك (لى سونج) ضحكات مجلجلة ، وهو يراه يقفز من مكان إلى آخر ، والنيران تحاصره من كل جانب .. حتى أنها أحرقت الوسائد التى بالغرفة جميعًا ..

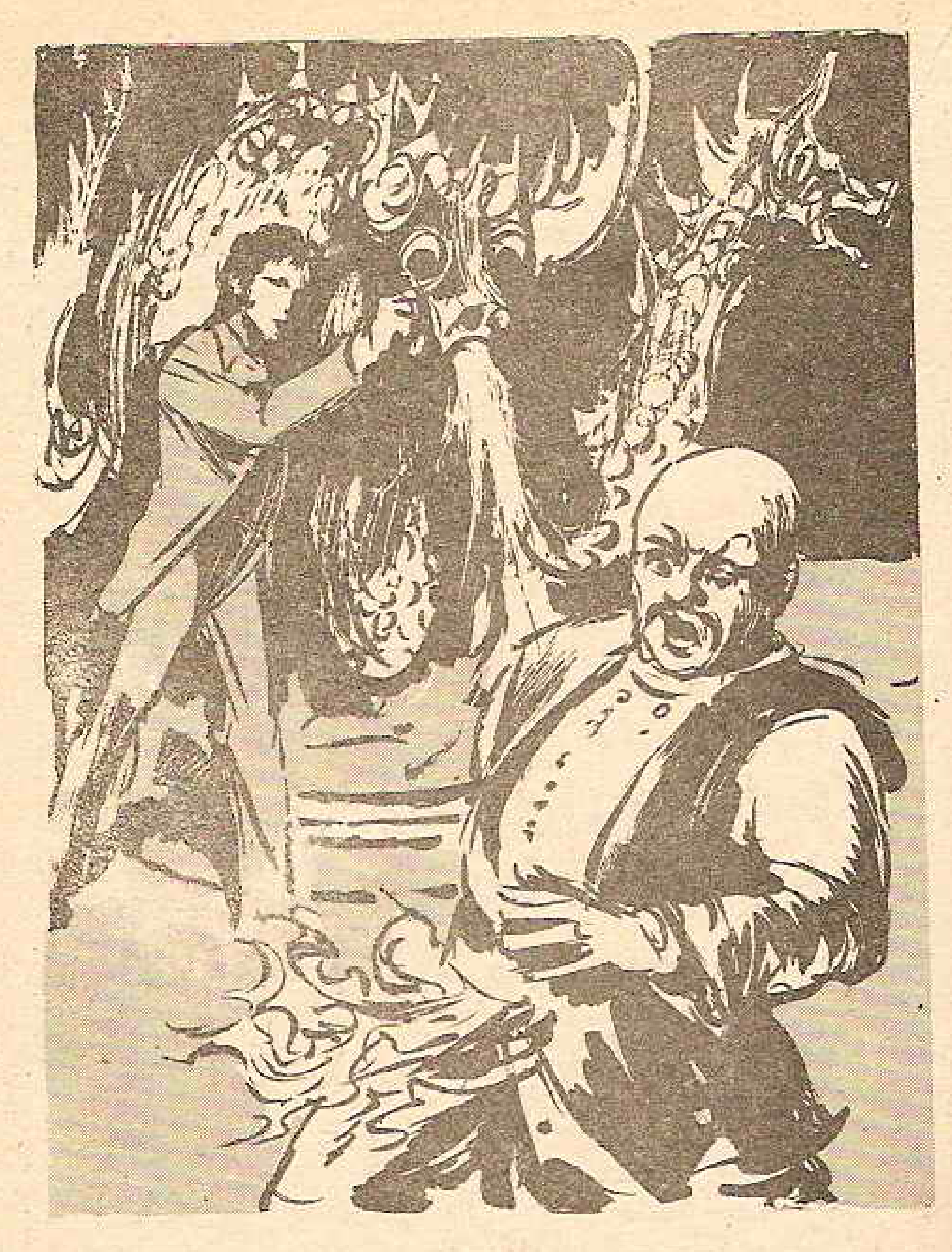
وتصبَّب العرق غزيرًا من (ممدوح) ، وصمَّم على

أن يتخلَّص من هذا الموقف العصيب بأسرع ما يمكنه .. فأمسك بإحدى الوسائد المشتعلة وقذف بها نحو (لى سونج) ، فسرعان ما أمسكت النيران بثيابه .. واضطرب (لى سونج) وهو يحاول إطفاء النيران ، فى حين انتهز (ممدوح) الفرصة ليزحف على الأرض ، متجنبًا قذفات اللهب المنطلقة من التمثال إلى أن وصل إليه .

ثم أمسك بالذراع الصغيرة فى رأس التمثال ، وجذبها إلى أسفل داخل الرأس ، فتوقَّف دورانها وتوقَّفت بدورها النيران المنبعثة من فم التنِّين .

وقبل أن يتخلَّص (لى سونج) من ردائه الذى أمسكت به النيران ، كان (ممدوح) قد أخذ يكيل له اللكمات العنيفة المتتالية ، حتى أسقطه على الأرض فاقد الوعى .

أسرع (ممدوح) ليستوثق من إحكام انغلاق باب الغرفة ، ثم جذب الحبل المتصل بإحدى الستائر ، وراح يشد وثاق (لى سونج) فى مقعد مواجه لرأس التمثال .



واضطرب (لى سونج) وهو يحاول إطفاء النيران ، فى حين انتهز (ممدوح) الفرصة ..

ثم أخذ يرش الماء على وجهه حتى أفاق .. فقال له (ممدوح) :

ـــ والآن يا سيِّد (لى سونج) .. لقد أصبحت الآن سيِّد الموقف .. فيكفى أن أجذب هذه الذراع إلى أعلى ، ليبدأ التنّين فى نفث نيرانه ليحرقك حيًّا .

لى سونج :

ـــ لا تعتقد أنك قد ملكت زمام الموقف تمامًا .. فرجالى فى طريقهم الآن إلى هنا ، فموعدى للاجتماع بهم يحين فى هذه اللحظة .. وإذا ما كشفوا وجودك فى هذا المكان ، فلن يتوانوا عن تمزيقك إربًا .. إننى أستطيع أن أقدم عرضًا جيِّدًا .. فلو حللت وثاقى فسوف أجعلك تغادر هذا القصر حيًّا ، شريطة ألا تفكِّر فى العودة إليه أبدًا ..

ممدوح :

ـــ يجب أن تعرف أننى قد جئت هذا القصر ، حاملاً رأسى على كفِّى يا سيِّد (لى سونج) .. فإما أن

أسترد (الميكروفيلم) أو نلقى حتفينا معًا .. أنا أعرف أن رجالك يمكنهم تمزيقى إربًا كما تقول .. ولكن الباب موصد من الداخل ، وقبل أن يتمكَّنوا من تحطيمه ، سيكون تمثالك العجيب هذا قد تكفَّل بحرقك .

وأمسك (ممدوح) بالـــــــذراع الصغيرة فى رأس التمثال ، وبدأ فى تحريكها إلى أعلى ببطء .

وصرخ (لى سونج) قائلاً :

ـــ أنت مجنون .

ممدوح :

ـــ أين الميكروفيلم ؟

واستمر فى تحريك الذراع إلى أعلى ، والعرق يتصبَّب غزيرًا من (لى سونج) ، الذى أخذ يصرخ قائلاً :

ـــ أرجوك .. توقَّف .

ممدوح :

ـــ أين الميكروفيلم ؟

وانهار (لى سونج) وقال :

ـ إنه داخل عين التنين اليسرى .. أدِرْها إلى اليمين خمس مرات ، وستجد (الميكروفيلم) ملتصقًا بشريط لاصق .

بدا على (ممدوح) الدهشة والعجب ، من غرابة اختيار هذا المكان لإخفاء (الميكروفيلم) .

ونفذ ما قاله له (لى سونج) ، فأدار العين اليسرى للتمثال خمس مرات جهة اليمين ، ثم جذبها إلى الخارج ، فتراءى له (الميكروفيلم) مثبتًا خلف عين التنين من الداخل بشريط لاصق .

انتزع (ممدوح) الشريط والتقط (الميكروفيلم) ، قائلاً لـ (لى سونج) :

ـ منذ اللحظة الأولى أحسست بشعور غامض حيال هذا التمثال المخيف .. ولكننى لم أكن أدرى أنه يحتوى على كل هذه المفاجآت الغريبة ، نيران حارقة .. عين سحرية .. لن أندهش إذا ما رأيته يتحرك الآن أمامى .

وصاح (لى سونج) بغضب :

ـ والآن ، وقد استرددت فيلمك .. ألا تحل وثاقى ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً ، وهو يغادر الحجرة :

ـ سأدع تلك المهمة لرجالك كى يؤدوها ، فواجبهم يقتضى مساعدتك فى المحن والشدائد .

وبينما كان (ممدوح) يخطو بهدوء ، خارجًا من المبنى الداخلى للقصر ، ملتزمًا الحذر الشديد .. كان (لى سونج) قد أفلح فى زحزحة الكرسى المقيد فوقه ، ليقترب من إحدى أركان الحجرة .. وجاهد لينحنى ويدنى فمه من صندوق صغير مثبت فى الحائط ، وانتزع غطاءه بأسنانه .

ثم أخذ يضغط بأسنانه وشفتيه على زرٍّ أحمر صغير بداخله .. فدوى فى جنبات القصر رنين أجراس عالية الصدى بالغة الصخب ، تعالت شدتها إلى درجة كانت كفيلة بإيقاظ الموتى ، فى نفس اللحظة التى كان

(ممدوح) يهبط فيها درجات السلم .

فلم يكد يصل إلى الدرجة الأخيرة ، حتى فوجئ بعشرات من الرجال المسلّحين ، وقد أحاطوا به من كل جانب .

هنالك أدرك (ممدوح) أنه لا محالة هالك ، وأنه لا فائدة ترجى من مقاومة كل هؤلاء الرجال .. فتوقّف على درجة السُلم ، وقد شُلَّ تفكيره ، وانتظر نهايته .. ولكنه فوجئ مفاجأة لم تخطر له على بال .. إذ رأى طائرة هليكوبتر تحلّق فوق رءوس الرجال المسلّحين ، وتحصدهم بنيران مدافعها ..

ارتمى (ممدوح) على الأرض ليتفادى الطلقات المنهمرة .. فى حين كان الرجال يتساقطون حوله من كل جانب .. وراح بعضهم يجرى فى كل اتجاه تفاديًا للطلقات ، ولكن مدافع الطائرة أتت عليهم جميعًا .

وعندما وسع (ممدوح) أن يرفع رأسه عن الأرض ، تبيّن أنه الوحيد الذى لم يزل باقيًا على قيد الحياة .

ولم يصدّق عينيه ، عندما رأى طائرة الهليكوبتر تدلى له سُلّمًا من الحبال ، وأحد رجالها يشير له بالصعود ، ولم يشأ أن يرهق نفسه فى التفكير فى هوية الطائرة وركابها ، بل وجد نفسه يلبّى الدعوة ، ويتسلّق السُّلّم الطائر .







ولم يصدّق عينيه ، عندما رأى طائرة الهليكوبتر
تدلى سُلَّمًا من الحبال ، وأحد رجالها يشير له بالصعود ..

٩ ــ فى قبضة الشيطان ..

لم يكد يستقر المقام بـ (ممدوح) داخل الطائرة ، حتى وجد نفسه جالسًا بين رجلين عدا قائد الطائرة .

قال لهما شاكرًا :

ــ لا أدرى كيف أشكركم .. لقد تدخلتما فى الوقت المناسب تمامًا لإنقاذى من نهاية محتومة .

قال له أحدهما وهو يرفع نظارته السوداء من فوق عينيه :

ــ تستطيع أن تشكرنا بطريقة عملية .

ممدوح :

ــ كيف ؟

أجابه صاحب النظارة السوداء قائلًا :

ــ بتَسْلِيمنا (الميكروفيلم) ، الذى حصلت عليه منذ لحظات .

كان (ممدوح) من الرجال الرابطى الجأش الحاضرى البديهية ، فلم يطرف له هدب ، بل سارع وتصنَّع الدهشة وهو يقول :

ـ أى (ميكروفيلم) ؟ إننى لا أفهم ما تعنيه .

ابتسم صاحب النظارة السوداء قائلًا :

ـ حسنًا .. دَعْه يفهم يا (كوبرن) .

وأخرج الرجل الجالس بجواره مسدسًا ضخمًا من جيبه ، ليسدِّده نحو رأس (ممدوح) قائلًا :

ـ هيَّا يا صديقى .. لابدَّ أن تبدى عرفانًا بالجميل أكثر من ذلك ..

فى حين قال له صاحب النظارة السوداء :

ـ لا بد أنك قد سمعت عنى من قبل أيها الشاب ، فأنا أدعى (الكولونيل) ، ولى ملف كامل فى إدارتكم النشيطة .. هذا الملف مسجلاً فيه بعض طباعى الشخصية ، وهى أننى سريع الغضب والاندفاع .. كما أنه لا تأخذنى أية شفقة بمن يحاول أن يستعرض ذكاءه

معى ، ويخفى عنى أمورًا أريد الحصول عليها .. لذا عليك أن تسارع بتسليمى (الميكروفيلم) ، قبل أن أظهر بعضًا من طباعى ..

وشعر (ممدوح) بمرارة ، فهو كمن استجار من الرمضاء بالنار .. فها هو ذا قد هرب من شيطان ليقع فى قبضة شيطان آخر ، يهدده بالموت على ارتفاع عدة أميال من سطح الأرض .

صاح (الكولونيل) بحدَّة قائلاً :

ـ لقد بدأ صبرى ينفد .. ولن أنتظر أكثر من ذلك .

ولم يجد (ممدوح) بدًّا من الاستسلام إلى حين ، فأخرج (الميكروفيلم) من جيبه ليقدمه إلى (الكولونيل) ..

وعلت وجه (الكولونيل) فرحة غامرة ، وهو يمسك بـ (الميكروفيلم) بين أصابعه ، قائلاً فى نشوة أخفق أن يخفيها :

ـــ أخيرًا .. أخيرًا حصلت عليه .

سأله (كوبرن) ، الذى كان لم يزل مصوبًا مسدسه إلى رأس (ممدوح) بقوله :

ـــ والآن .. ماذا بشأن هذا الرجل ؟

ويبدو أن فرحة (الكولونيل) بالحصول على (الميكروفيلم) ، كانت قد أنسته كل شىء آخر ، فلم يسمع السؤال الذى عاد (كوبرن) يكرِّره عليه مرة أخرى .

وانتبه (الكولونيل) ، قائلاً :

ـــ هَهْ .. نعم الرجل .. لابد أن نعرب له عن امتناننا .. لذا سنجعله يختار أسلوب الموت الذى يرُوقه .. فإما أن يلقى بنفسه من الطائرة ، أو يتقبَّل رصاصة فى رأسه مباشرة .

ثم ضحك قائلاً لـ (ممدوح) :

ـــ هَهْ .. ماذا تختار ؟

أجابه (ممدوح) ببرود قائلاً :

ـــ أتعرف ما هى أخطر عيوبك أيها (الكولونيل) ؟ . إنك دائمًا لا تتعلَّم من أخطائك .. فاندفاعك وتهوُّرك يجعلانك تكرِّر نفس الأخطاء دون أن تتعلَّم منها شيئًا .

وعلا الغضب وجه (الكولونيل)، الذى قال له بحدَّة :

ـــ أتجرؤ على توجيه هذه الكلمات لى أيها الوقح ؟

ممدوح :

ـــ لقد غدرت بـ (صفوان) ، وقتلته بمجرد أن سلَّمك (الميكروفيلم) ، ثم اتضح لك بعد ذلك أنه كان زائفًا ، وأنه قد أخفى الفيلم الحقيقى ليخدعك .. وهأنتذا تكرِّر نفس الخطأ ، وتريد أن تقضى علىَّ بمجرد أن سلَّمتك هذا (الميكروفيلم) الذى بين يديك ، دون أن تتحقق مما إذا كان هذا (الميكروفيلم) الذى أعطيته لك حقيقيًا أم زائفًا ؟ ألا يمكن أن أكون قد خدعتك أنا الآخر ، وأخفيت الفيلم الحقيقى فى مكان آخر ، بعد أن استبدلت به هذا (الميكروفيلم) الزائف فى أثناء هروبى من قصر (لى سونج) ؟

وظهــرت دلائــل الحــيرة والتردُّد على وجــه (الكولونيل) ، الذى بدا له كلام (ممدوح) معقولًا :

ولكن (كوبرن) احتج قائلًا :

ــ لا تدع هذا الرجل يخدعك .. إنه يريد إنقاذ نفسه من الموت بترديد هذه الكلمات المخادعة .. دَعْنا نلقِى به من الطائرة .

ولكن (الكولونيل) أشار له بالتوقُّف ، قائلاً :

ــ إننا لن نخسر شيئًا على أى حال .. فسوف ننتظر حتى نهبط فى (فيلتى) ثم نشاهد الفيلم كاملًا ، وبعدها نقرر ما إذا كنا سنتخلص منه .. أم نذيقه ألوانًا من العذاب ، تجعله يتمنَّى الموت العاجل ، حتى يكشف لنا عن مكان (الميكروفيلم) الحقيقى .. فأنا لن أسمح لنفسى بتكرار الخطأ مرتين ، كما يقول هذا الشاب .

وهنأ (ممدوح) نفسه بنجاحه فى التأثير على (الكولونيل) .

فعندما تهبط الطائرة على الأرض ، سيكون الأمل فى

نجاته من الموت قد ارتفع من واحد فى المائة إلى اثنين فى المائة .. وعليه أن يتمسك بهذه النسبة ، فربما أمكنه وقتئذ الإفلات من براثن هذا الشيطان ، بل قد يوفق فى استرداد (الميكروفيلم) مرة أخرى .

* * *



١٠ ـ مفاجآت متوالية ..

هبطت الطائرة داخل الحدود المحيطة بڤيلا (الكولونيل) ، على الأرض الفضاء الملاصقة لمبنى (الڤيلا) .

وكان أول الهابطين (الكولونيل) وتبعه (ممدوح) ، ثم جاء خلفهما (كوبرن) ، الذى كان يسير مصوِّبًا مسدسه إلى ظهر (ممدوح) .. ولم يكد (ممدوح) يخطو بضع خطوات حتى توقف قائلاً لـ (كوبرن) :

ـ أتسمح لى بعقد رباط حذائى ؟

صاح فيه (كوبرن) بحدَّة :

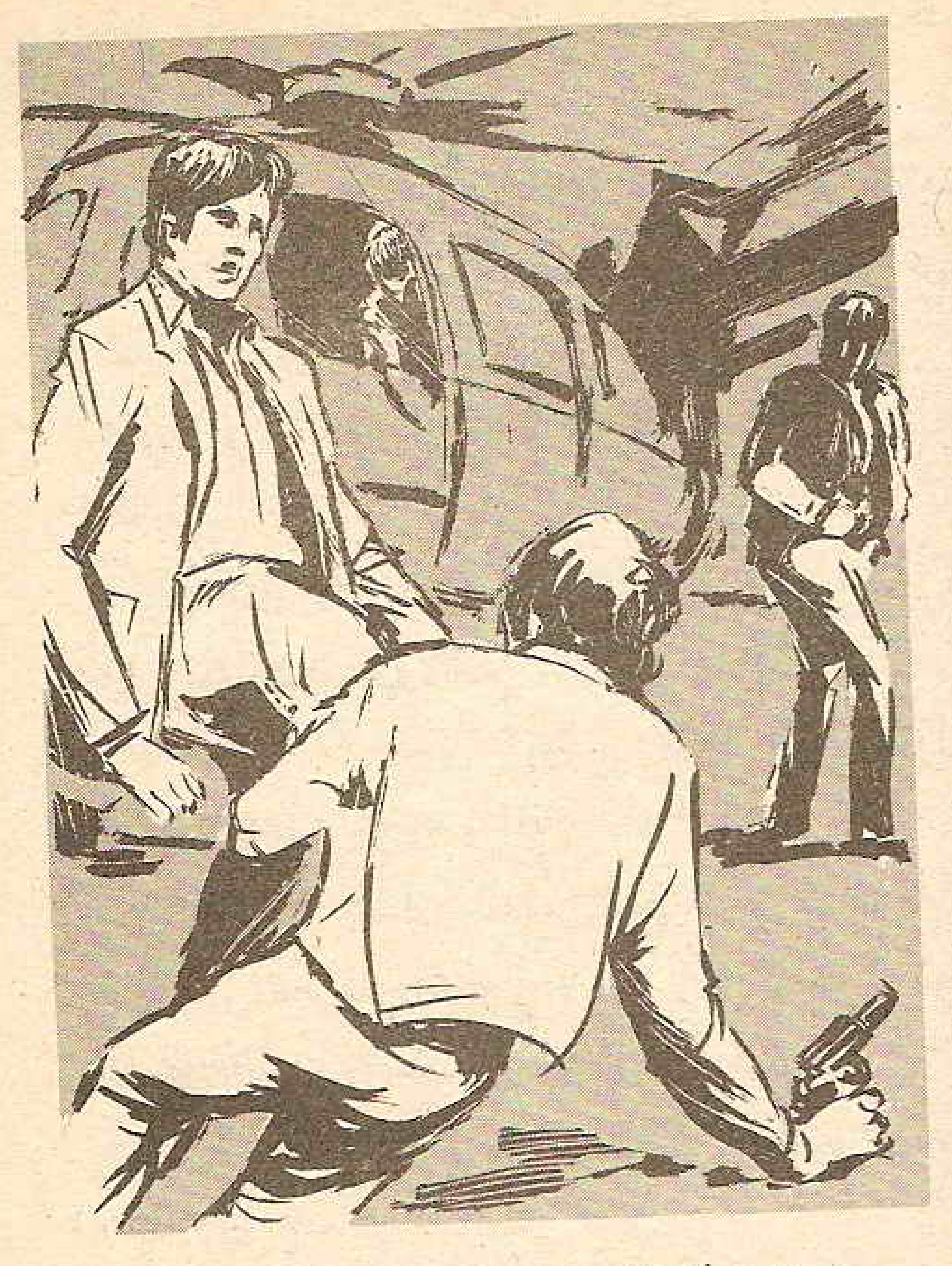
ـ ليس لدينا وقت للاهتمام برباط حذائك .

ممدوح :

ـ ولكنى لا أستطيع السير ورباط حذائى محلول .

كوبرن :





استدار فجأة حول نفسه دورة كاملة .. وبسرعة البرق سدَّد ضربة قوية بمقدمة حذائه إلى معدة (كوبرن) ..

ـــ حسنًا .. أسرع حتى نلحق بـ (الكولونيل) .

وجلس (ممدوح) القرفصاء ليعقد رباط حذائه ، ولكنه فى الواقع كان يعد لشيء آخر .. فما أن شدَّ رباط الحذاء إلى الخلف ، حتى برز من مقدمة الحذاء نصل حاد مدبَّب أشبه بنصل الخنجر .

كان حذاؤه معدًّا إعدادًا خاصًّا ومزوَّدًا بشفرة حادة ، تتصل (بسوستة) مطاطية تشبه أربطة الأحذية .. إن إدارة العمليات الخاصة غالبًا ما تزوِّد رجالها بهذا النوع من الأحذية ، لاستخدامها فى المواقف الصعبة عندما تلجئهم الضرورة ..

ودون أن يدع (ممدوح) لـ (كوبرن) الفرصة لإدراك التغيير الذى طرأ على الحذاء ، استدار فجأة حول نفسه دورة كاملة .. وبسرعة البرق سدَّد ضربة قوية بمقدمة حذائه إلى معدة (كوبرن) .

وفوجئ (كوبرن) بالنصل الحاد ينغرس فى أمعائه ، فانطلقت من مسدَّسه طلقة طائشة ، ثم لم يلبث أن

سقط منه المسدس على الأرض ، وسقط على مقربة منه ودمه ينزف ..

واستدار (الكولونيل) خلفه مندهشًا ، إثر سماعه للطلقة النارية ، فى نفس اللحظة التى تمكن فيها (ممدوح) من التقاط المسدس الملقى على الأرض ، ليصوِّبه نحو (الكولونيل) ، ويأمره بالعودة مرة أخرى إلى الطائرة .

وفى تلك الأثناء كان قائد الطائرة لم يزل على مقربة منها ، بعد أن استغرق بعض الوقت فى إيقاف محركاتها .. وعندما رأى ما حدث ، أسرع عائدًا إليها ليتناول المدفع الرشاش الموجود بداخلها .

لكنه لم يكد يمسك بالمدفع ، حتى فوجئ بطلقة نارية تصوَّب إلى يده من (ممدوح) ، مما جعل المدفع يسقط منه على الأرض ، وهو يئن ويتلوَّى من الألم .

قال له (ممدوح) وهو يدنو من الطائرة يتقدمه (الكولونيل) :

ـ لقد كنت أستطيع أن أتلف يدك تمامًا ، ولكننى اكتفيت بخدش بسيط ، حتى يسعك أن تقود الطائرة التى ستحملنا الآن من هنا .. فزيارتنا السريعة لمنزل (الكولونيل) قد انتهت .. وأمامنا زيارة أخرى نؤديها إلى مبنى شرطة (هونج كونج) .

وركب (الكولونيل) بجوار قائد الطائرة فى المقعد الأمامى ، على حين جلس (ممدوح) فى المقعد الخلفى ، وهو يصوب مسدسه نحوهما ، بعد أن أمر الطيار بالتوجُّه بها إلى مبنى شرطة العاصمة .

ودارت محركات الطائرة ، وسرعان ما ارتفعت محلِّقة فى السماء ، وهى تبتعد عن المكان .

وهنأ (ممدوح) نفسه ، فقد حقق أكثر مما تمنَّاه ، إذ حصل على (الميكروفيلم) ، وأوقع بـ (الكولونيل) فى آن واحد ، وهو ما يتجاوز مهمته الرسمية ، التى كانت تقتصر على استرداد (الميكروفيلم) فحسب ..

ولكن يبدو أن (ممدوح) كان متفائلاً أكثر مما

ينبغى .. فقبل أن تقترب الطائرة من مقر الشرطة ، نظر الطيار إلى (الكولونيل) نظرة ذات مغزى ، وهو يشير له بإبهامه إلى يد المقعد الجالس عليه ، محاذرًا ألا يراه (ممدوح) أو يلحظه .. وفهم (الكولونيل) مغزى نظراته ، فتحسَّس يد المقعد لتلمس أصابعه زرًّا صغيرًا لا يكاد يراه ..

وضغط (الكولونيل) على الزِّرّ ، ليرتد مسند المقعد فجأة إلى الخلف ، مصطدمًا بـ (ممدوح) ، الذى أربكته المفاجأة ، فأفلت من يده المسدس .

وقبل أن يحاول (ممدوح) التقــاط المسدس من أرضية الطائرة ، كان (الكولونيل) قد هوى على رأسه بمؤخرة مسدسه ، لتخمد حركته فوق مقعده بعد أن فقد الرشد ..

وقام (الكولونيل) بالتخلص من المسدس الآخر ، فقذفه من الطائرة وهو يبتسم بتشفٍّ قائلاً :

ــ لقد توهَّمت أنك تستطيع الانتصــار على

(الكولونيل) أيها الغبىّ ، سأجعلك تندم على فعلتك هذه ، بعد أن أتأكد من حقيقة هذا الفيلم .

واستـــدار الطيـــار عائـــدًا بالطائـــرة إلى ڤيـــلا (الكولونيل) من جديد .

ومرة أخرى هبطت الهليكوبتر فى نطاق العلامة المحدودة لها داخل حدود (ڤيلا الكولونيل) .

كان (ممدوح) أول الهابطين هذه المرة .. فقد كان مسوقًا تحت تهديد السلاح ، وقد أمسك برأسه من شدة الألم ، بتأثير الضربة العنيفة التى مُنِىَ بها ..

وعندما اقترب الرجال الثلاثة من مبنى (القيلا) الأنيق المطل على الساحل .. لمح (ممدوح) أحــد الرجال ينفذ من بين الأشجار المحيطة بـ (القيلا) متجهًا نحوهم ، قائلاً وهو يتلعثم :

ــ سيِّدى (الكولونيل) ....

قال له (الكولونيل) :

ــ أسرع وأعد لنا جهاز العرض يا (روبير) ..

ولكن الرجل لم يكد يدنو بضع خطوات نحوهم ، حتى سقط منكفئًا على وجهه فوق الأرض ، وفى ظهره خنجر حاد لم يبد منه سوى مقبضه ..

وعلت الدهشة وجوه الرجال الثلاثة .. لكن هذه الدهشة لم تلبث أن تضاعفت ، عندما فوجئوا بعدد من رجال (الكولونيل) يبرزون من خلف الأشجار المحيطة بـ (الڤيلا) ، رافعين أيديهم إلى أعلى ، وخلفهم بعض أفراد عصابة (لى سونج) شاهرين أسلحتهم .

أدرك (الكولونيـــل) أن (لى سونج) قد أوقـــع برجاله ، ثم لم يلبث أن رأى نفسه محاصرًا هو الآخر بعدد من الرجال ، الذين برزوا من خلف الأشجار بدورهم ، مصوّبين أسلحتهم نحو الرجال الثلاثة وهم يأمرونه بإلقاء مسدسه .

ألقى (الكولونيل) بالمسدس فى سخط ، وقد ظهر وقع المفاجأة على وجهه ، وهو يرى (لى سونج) يتقدم نحوه عاقدًا ذراعيه فوق صدره ، مطلقًا ضحكة عالية ملؤها السخرية .. وهو يقول :

ـــ مرحبًا عزيزى (الكولونيل) عدوّى القديم .. والمقدم الهمام الذى توهَّم أنه يستطيع أن يكون بطلاً على حساب (لى سونج) !!

* * *



١١ – صراع الذئاب ..

تبدَّل وجه (لى سونج) ، وهو يحدِّجهما بنظرات حادة قاسية قائلاً :

– والآن أين (الميكروفيلم) ؟

بادر (ممدوح) إلى القول :

– تستطيع أن توجِّه هذا السؤال لصديقك (الكولونيل) .. فقد أصبح الآن فى حوزته .

هزَّ (الكولونيل) رأسه نفيًا ، وقال :

– إنه يكذب عليك .. فحتى الآن لم أستطع أن أستخلص منه المكان الذى أخفى فيه (الميكروفيلم) .

استشاط (لى سونج) غضبًا ، وهو يقول لرجاله :

– فتشوا هذين الوغدين .. أريد منكم أن تخرجوا هذا الفيلم ، حتى لو كان مختفيًا تحت جلودهم .

وتقدم أربعة من الرجال الأشدَّاء ، ليقيدُّوا حركة



(ممدوح) و (الكولونيل) ، وليقوم اثنان آخران بتفتيشهما .. إلا أنه فى ذلك الوقت كان هناك اثنان من رجال (الكولونيل) مختبئين داخل الزورق البحرى الخاص به ، الذى كان راسيًا على الساحل القريب من (ڤيلته) .. فلم يتمكن رجال (لى سونج) من كشف مكانهما .

وبهدوء تسلّل الرجلان من الزورق ، حاملين معهما مدفعين آلين ، إلى أن اقتربا من المكان المحاصر فيه (الكولونيل) ورجاله .

وفى اللحظة التى استطاع فيها أحد الرجلين اللذين يفتشان (ممدوح) و (الكولونيل) ، العثور على (الميكروفيلم) فى جيب الأخير ، ويقدمه إلى (لى سونج) .. كان قد تلقّى عددًا من الطلقات النارية فى جسده ، ليسقط على الأرض و (الميكروفيلم) بجواره ، وسرعان ما أطلق الرجلان المتسلّلان دفعات هائلة من نيران مدفعيهما نحو (لى سونج) ورجاله .

وانبطح (لى سونج) أرضًا .. فى حين قام باقى رجال (الكولونيل) بانتهاز الفرصة ومهاجمة أفراد عصابة (لى سونج) .

وتبادل الطرفان إطلاق النيران ، لتعمّ الفوضى المكان ، فى حين انتهز (الكولونيل) الفرصة ليلتقط (الميكروفيلم) من الأرض ، ويسرع فى اتجاه الساحل .

وأمسك (ممدوح) بمسدس (الكولونيل) ، الذى كان لم يزل ملقًى على الأرض ، وأسرع يعدُو خلفه ، وسط طلقات الرصاص التى كانت تنهمر فى كل مكان .

وقفز (الكولونيل) داخل زورقه الراسى على الساحل ، وأدار المحرّك بسرعة محاولًا الابتعاد عن المكان .

ولكنه لم يلبث أن فوجئ بعشرات من الزوارق التابعة للشرطة النهرية ، وهى تدنو من (الڤيلا) .

وحاول (الكولونيل) الالتفاف بالزورق ، ولكن



ولم يكد (ممدوح) يتم جملته ، حتى فوجئ بسهم حاد يمرق بجواره ، وينغرس فى رقبة (الكولونيل) ..

الرصاصات التى صوَّبها (ممدوح) إلى المحرِّك فجرته ، ليغوص (الكولونيل) بزورقه فى الماء ويغرق .. وتغرق معه آماله فى الهروب بـ (الميكروفيلم) .

غير أن (الكولونيل) استطاع أن يقذف بنفسه من الزورق الغارق ، واستدار يسبح عائدًا إلى الشاطئ ، حيث كان (ممدوح) لم يزل واقفًا وقد أمسك بمسدسه ، واقترب (الكولونيل) من (ممدوح) ، وعلى وجهه دلائل اليأس والقنوط ، قائلاً له :

ـ لقد انتهى كل شىء .. إننى أستسلم لك أيها المقدم .. وها هو ذا (الميكروفيلم) الخاص بكم .

وطوَّح به على الشاطئ أمام (ممدوح) ، الذى قال له فى هدوء :

ـ لم تعد هناك حاجة لهذا (الميكروفيلم) بعد الآن ، فقد أتلفته المياه ولم يعد صالحًا للعرض .

ولم يكد (ممدوح) يتم جملته ، حتى فوجئ بسهم حاد يمرق بجواره ، وينغرس فى رقبة (الكولونيل) ، الذى

أمسك بعنقه فى ألم ، وقد تحشرج صوته ، وجحظت عيناه ، ولم يلبث أن تهاوى إلى الأرض والدماء تنزف من فمه ، وقفز (ممدوح) لائذًا بإحدى الأشجار المطلة على الساحل محتميًا بها ، فى اللحظة التى مرق فيها سهم آخر كاد يحف برقبته .

وسمع صوت (لى سونج) وهو يردِّد :

ـ لقد سبَّبت لى أنت وذلك (الكولونيل) متاعب جمَّة ، فكان لا بدَّ أن أصفِّى حسابى معكما بنفسى .. وإذا لم يكن رؤساؤك قد أخبروك أن (لى سونج) هو أبرع رماة السهام فى (هونج كونج) ، فسوف أجعلك تلمس ذلك بنفسك .

وأطلق سهمًا ثالثًا فى اتجاه (ممدوح) ، الذى كان لم يزل محتميًا بالشجرة .

كان (لى سونج) يبدو فى حالة جنونية ، وقد انتابته ثورة شديدة ، بعد أن أيقن أن الموقف بات فى غير صالحه ..

وراح يطلق سهامه وهو يتقدم نحو (ممدوح) ، وقد ثارت ثائرته ..

وانتظر (ممدوح) حتى أصبح (لى سونج) غير بعيد عنه ، فانبطح على الأرض فى مواجهته وهو يحكم تصويب مسدسه ، وأطلق رصاصة قاتلة استقرت فى رأس (لى سونج) ، ليسقط وسط كومة السهام التى يحملها والقوس فى يديه .

وما هى إلا لحظات حتى كان أفراد شرطة (هونج كونج) ينتشرون فى الجزيرة ، ليقبضوا على البقية الباقية من عصابات (الكولونيل) و (لى سونج) .

قدَّم الجنرال (كاى شينج) ، الذى حضر ومعه العقيد (فهمى) التهنئة لـ (ممدوح) على نجاته ، ونجاحه فى الوصول إلى (الميكروفيلم) ، كما هنأه أيضًا على إسهامه فى القضاء على أخطر عصابتين عرفتهما (هونج كونج) .

ثم استقل الجميع زوارق الشرطة عائدين إلى المدينة ..

* * *



١٢ ــ النجاح الكبير ..

وفى القاهرة خرج اللواء (مراد) مرة أخرى على القواعد المألوفة فى تعامله مع ضباطه بـ (المكتب ١٩) ، عندما دعا (ممدوح) ليشاركه العشاء فى منزله ، تكريمًا له على نجاحه فى إتمام مهمته العصيبة .

فقد أدّى النجاح الكبير الذى أحرزه (ممدوح) فى هذه المهمة العسيرة ، إلى الحفاظ على سرِّيَّة الوثائق الخاصة بـ (المكتب ١٩) .. تلك الوثائق التى تعد جزءًا من أمن الدولة .

ومن هنا فإن دور (ممدوح) لم يقتصر على تنفيذ مهمة رسمية فحسب ، كما هو الحال بالنسبة للمرات السابقة .. بل كان بمثابة إنقاذ لإدارته التى أحبَّها وعشق العمل فيها .

قال له اللواء (مراد) فى أثناء تناول العشاء :

ـــ لك أن تتصوَّر يا (ممدوح) ، أنك لو لم تنجح فى مهمتك هذه ، لكنا الآن محالين إلى المعاش جميعًا .. بالنسبة لى فإننى أقترب من السن القانونية للإحالة إلى المعاش .. لكننى لم أكن أستطيع أن أمحو عن نفسى عار الإحالة إلى المعاش على هذه الصورة المهينة ، التى كانت ستعد كلمة مخفّفة لكلمة الفصل من العمل .. لك أن تتصوَّر أنه بعد كل هذا النجاح الذى أحرزته فى مختلف أجهزة الأمن التى عملت فيها ، انتهاء بهذه الإدارة ذات السمعة الممتازة داخليًا وخارجيًا ، ينتهى بى الأمر إلى مثل هذا الفشل الذريع ..

قال له (ممدوح) وهو يداعبه :

ـــ هوِّن عليك يا سيادة اللواء .. فإن لكل أمر جانبا سيئًا وآخر حسنًا .

تساءل اللواء (مراد) فى دهشة :

ـــ وما الجانب الحسن فى إحالتنا إلى المعاش الإجبارى على هذا النحو ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـــ كان ذلك سيتيح لنا مزيدًا من الوقت للعب الجولف معًا ..

وكتم اللواء (مراد) ضحكاته، وهو يتصنع الجدِّية قائلًا :

ـــ حسنًا .. تناول عشاءك قبل أن يبرد .. ولا تنس أنك ستكلَّف غدًا مهمة رسمية جديدة .

ممدوح :

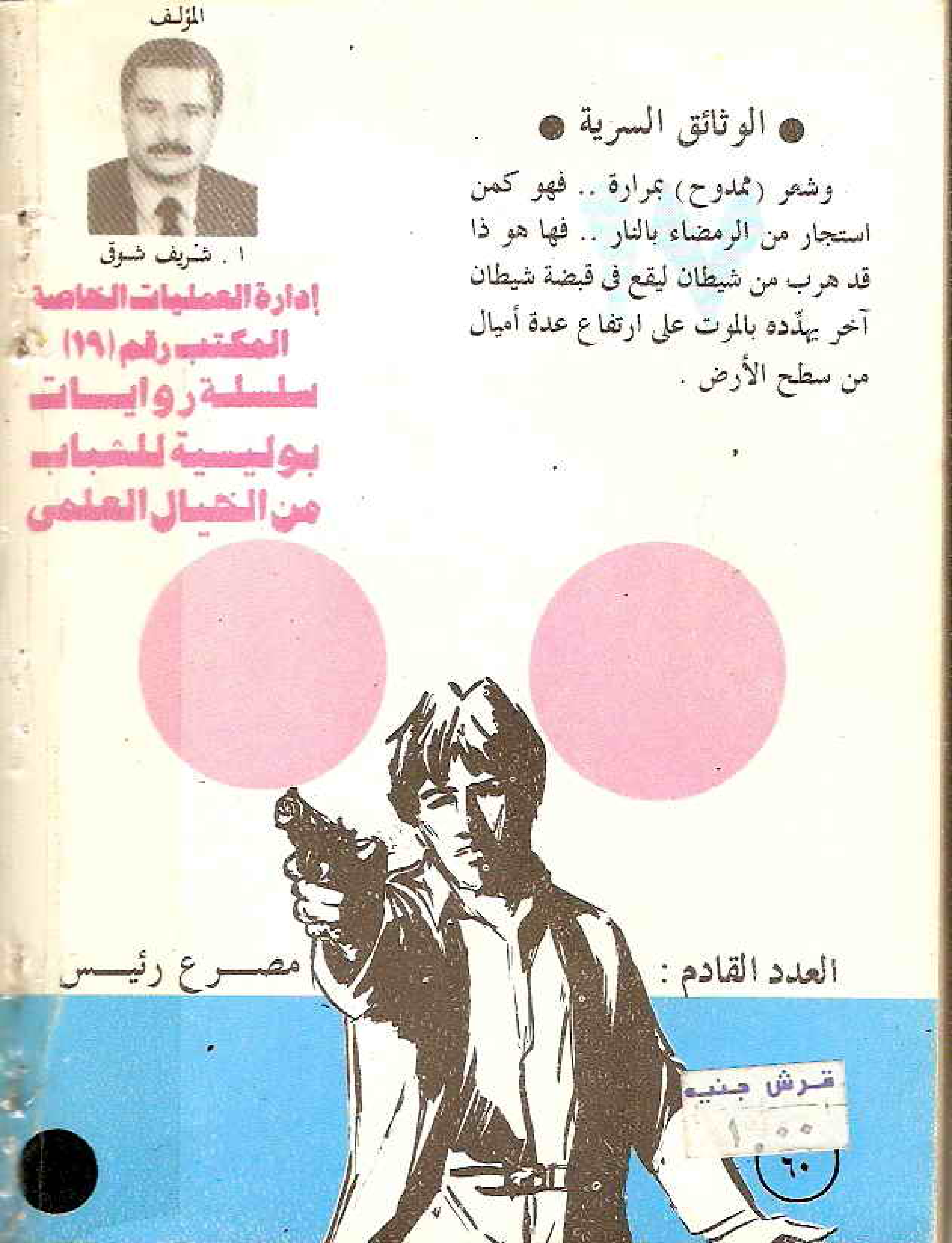
ـــ أمرك يا أفندم .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون ٨٢٦٢٨٠٠


● الوثائق السرية ●
وشعر (ممدوح) بمرارة .. فهو كمن استجار من الرمضاء بالنار .. فها هو ذا قد هرب من شيطان ليقع فى قبضة شيطان آخر يهدّده بالموت على ارتفاع عدة أميال من سطح الأرض .
المؤلف
ا . شريف شوق
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي
العدد القادم : مصرع رئيس
قرش جنيه
٦٠